

روايات عبير



فلورا



Sandra DESTÈVE

N° 639

روايات عبير



استسلمت "فلورا" لفضولها.

أرادت أن تكشف سر عائلة "دي لويس هام"،
إن هناك شيئاً ما يربطها بهذا المكان ولا تعرفه:
هل هو سيد القصر،
أم أنها انبهرت بهذا الغموض
الذي يغلف كل شيء؟

ثمن النسخة



لبنان	٢٥٠٠	ل. ج.
سوريا	٧٥	ل.
الأردن	١ دينار	
السعودية	٨ ريال	
الكويت	٧٥٠ فلس	
الإمارات	٨ دراهم	
البحرين	٧٥٠ فلس	
U.K.	2£	

الشخصيات

- "فلورا لارك" : فتاة بسيطة تتقدم للعمل كمربيّة لدى عائلة "دي لويس هام".
- "الكونت چيمس دي لويس هام" : صاحب قصر "دي لويس هام" وهو شخصية فذة ويعيّنها الغموض.
- "مايكيل دي لويس هام" : ابن صاحب القصر.
- "إيلين" و "چوزيف" : يعملان كخدمين في قصر "لويس هام".

الغلاف الأمامي

قصر غامض ضائع بين البراري: هذا هو المكان الذي ستعمل فيه "فلورا" مربية للصبي "مايكيل". ولكن "جيمس دي لويس هام" شخصية غامضة وجذابة في نفس الوقت. هذا الرجل الذي أخضعها لنظام غريب للحياة في قصره. كل شيء كان يشير قلق المربية الشابة: الجو الغامض الذي يحيط بالقصر، وسلوك سكانه.

الفصل الأول

أخيراً شعرت "فلورا لارك" بأنها قريبة من الهدف. كانت السيدة الشابة تفكّر في هذه الرحلة الطويلة ببعض التعب. اضطررت إلى الرحيل قبل شروق الشمس لتسير حتى الحطة عبر القرية التي لا تزال نائمة.

لم تُحاول "فلورا" أن تعزّي نفسها حتى بنظرة أخرى إلى الريف البهيج في "كنت" الذي شهد ازدهار طفولتها. منذ وفاة والدتها لم تعد تعبير أي اهتمام بالبراري والأنهار التي كانت سبب بهجتها في الماضي. ازدادت حنافتها وأبرز شعرها الأسود الطويل شحوب وجهها البيضاوي. لم يعد باقياً من حيويتها سوى عينيها السوداويتين الواسعتين.

أمضت "فلورا" جزءاً كبيراً من رحلتها في عربة القطار غير المريحة في الدرجة الثالثة التي ضجّت بضيوف المسافرين. ابتعدت "فلورا" عن مراحهم. لم تأكل، كانت تفكّر في حياتها المستقبلية. أخيراً رأت محطة "لينسون"، كان عليها أن تسير على قدميها بضعة أميال لتصل إلى قصر "لويس هام"، خيم الليل على الأرض المنعزلة. ضمت إليها الشال الأبيض. وهام المطر قد بدأ في السقوط. أسرعت "فلورا" الخطى، تحت أسوار قصر "لويس هام" أمامها رغم الظلام. اتبهرت "فلورا" بكبر حجم المبني. كان البيت يبدو مخيفاً، وفي الوقت نفسه مرحاً. حاولت "فلورا" دون أن تتوصّل إلى ذلكـ أن تخيل هذا القصر بؤيّوها، على الأقل بضعة شهور، وهي التي عاشت خلال السنوات الثلاث الماضية دون أن ترى أحداً (لم تكن تريد ترك والدتها، متمنية أن تخف عنّها مرضها الذي أدى بها إلى الوفاة)، إنها تواجه الآن فكرة مقابلة "الكونت دي لويس هام" بخوف كبير.

وصلت أخيراً. دقت جرس الباب الذي رن رنيناً غريباً في الليل، بعد بعض لحظات جاء رجل عجوز يفتح باباً ثقيلاً:

ـ ماذا تريدين؟

ـ أنا "فلورا لارك" المربية الجديدة لـ"مايكيل". أدخلها. رمقها بنظرة طويلة، كأنه يدرس قوامها الرشيق وشعرها الحريري ومظهرها الحزين.

ونظراتها القوية العميقية، أخيراً قال:

ادعنت "فلورا". سمعت صوت قدمي الرجل يصعد - بدون شك -
السلم الخشبي الذي رأته عند وصولها في مواجهة باب الدخول الواسع
جداً. حدثت "فلورا" نفسها:

- إذا كان هذا القصر مسكننا بالآرواح حقاً كما كان شائعاً قدماً في
"كنت"، فإن شهرة القصر وـ"الكونت لويس هام" قد تعدد حدود مقاطعة
"سومرسن". لقد سمعت "فلورا" قصصاً عن "چيمس دي لويس هام".
وتقربت "الكونت" وزوجه "الكونتيسة" ، اللذين كانوا يقيمان حفلات
فاخرة، ولكنهما توقيعاً فجأة عن ذلك لأسباب مجهولة.

سمعتهم يقولون في "كنت":

- إن هذه الحفلات حفلات شيطانية.
لم يجرؤ أحد على إضافة شيء آخر.
قال آخرون بعد فترة:

- على أية حال، منذ عامين، لم يعد يراهما أحد. ولم يعودا يستقبلان
أحداً ولا يخرجان أبداً.

سالت "فلورا" نفسها إذا كانت نفس الشائعات رائجة في "سومرسن" ،
قالوا لها عندما أعلنت أنها ستكون مربية "مايكيل دي لويس هام" :

- كوني حذرة؛ "لويس هام" اسم معروف جداً.
أجابـت:

- سترى، ولكنني لا أصدق هذه الشائعات.
وهاهي الآن على مسرح الأحداث.

عاد "جوزيف" وقال:

- أدرك سيدى "الكونت" أنك ربما تصلين هذا المساء؛ لذلك، أمرني أن
أعد لك حجرتك. أعتقد أنك تستطعين رؤيته صباح غد بعد أن يتناول
إفطاره.

عند سماعها هذه الكلمات شعرت "فلورا" بان قلبها يدق بسرعة غير
عادية. "چيمس دي لويس هام" اسم له صدى كبير سيتحول إلى حقيقة.
لكنها لم تجرؤ على أن تطرح على "جوزيف" السؤال الذي يحرق شفتيها:
(حدثني عن "چيمس دي لويس هام" ، كيف يبدو؟). كان "جوزيف"

- سيدى الكونت "دي لويس هام" دخل غرفته. ومستحبلاً أن أزعجه.
فهمـت. لقد جئت متأخرة.

- تحدثي بصوت أعلى؛ أنا لا أسمعك جيداً.

ردت "فلورا" محاولة أن ترفع صوتها بشكل كافٍ:
- أقول إن الوقت متاخر. كانت الرحلة طويلة، إبني في الطريق قبل شروق
الشمس.

قال الرجل العجوز دون أن يعبر ما قالته الفتاة أهمية:

- أسمـي "جوزيف" ، أنا وـ"إيلين" الطباخة نحن بمفردنـا. نهـتم بهذا
القصر. أنا في خدمة السيد منذ وقت طـويل... . عندما جـئت كان سيدى
الكونـت لا يزال في الخامسة من عمره.

سمـعته "فلورا" وهي تـشمـنـي أن يدعـوها للجلـوس وربـما إلى قـدح من
الشـاي أو يـقدم لها شيئاً تـأكلـه. تـاملـها لـحظـاتـ كانـه يـفكـرـ، ثـمـ قالـ:

- ربـما تـريـدينـ الجـلوـسـ فـيـ الصـالـونـ الـاخـضرـ والـذـهـبـيـ. سـاحـضـرـ لـكـ قـدـحـاـ
منـ الشـايـ معـ "ـكـيـكـ".

همـست "ـفلـورـاـ":

- شـكرـاـ.

ثمـ رـفـعـتـ صـوـتهاـ:

- شـكـرـاـ، بـكـلـ سـرـورـ.

ولـكنـ "ـجوـزـيفـ"ـ كانـ قدـ خـرـجـ. نـظـرـتـ "ـفلـورـاـ"ـ حولـهاـ. عـلـىـ عـيـنـيهـ كانـ
هـنـاكـ بـابـ مـفـتوـحـ وـشـمـوـعـ مـازـالـتـ مشـتـعلـةـ. رـأـتـ السـتـائرـ التيـ تـغـطـيـ الـحـائـطـ
بـالـلـوـنـ الـأـخـضـرـ وـالـذـهـبـيـ. دـخـلـتـ وـقـرـرـتـ أـنـ تـجـلـسـ فـيـ أـحـدـ المـقـاعـدـ لـتـنـتـظـرـ
هـذـهـ الـرـجـبةـ التـيـ تـاملـهـاـ كـشـيرـاـ. كـانـتـ تـوـدـ أـنـ تـرـىـ الـكونـتـ "ـلوـيسـ هـامـ"
هـذـاـ المـسـاءـ وـتـعـرـفـ مـاـ الـذـيـ يـرـيدـهـ مـنـهـاـ. لـقـدـ كـانـ خـطاـبـهـ غـامـضاـ.

عـنـدـ عـوـدةـ "ـجوـزـيفـ"ـ ، طـردـتـ "ـفلـورـاـ"ـ هـذـهـ الـأـفـكـارـ مـنـ ذـهـنـهـاـ حتىـ
تـنـفـرـعـ لـسـعـادـ الـطـعـامـ وـتـحـصـلـ أـخـيرـاـ عـلـىـ شـرـابـ دـافـيـ.

قالـ "ـجوـزـيفـ":

- سـآـخـذـ أـمـتـعـنـكـ إـلـىـ حـجـرـتـكـ. وـسـاقـوـدـكـ إـلـيـهاـ فـورـ اـنـتـهـائـكـ.

- نعم، وجودك سيكون له أثر طيب فيه، كما أنك... جميلة.
قال ذلك دون أن يفسر من يقصد.

توردت "فلورا". إنها لم تسمع رجلاً يمتدح جمالها بهذه الطريقة المبشرة قط. أسرعت في الانهاء من شرب قدر الشاي لقطع هذا الحديث الذي قد يتحول إلى حديث محرج.

قالت في ارتياح:
- أنا مستعدة. أود أن أرتاح الآن.

نهض "جوزيف" على الفور وتقديمها إلى السلم الكبير:
- الغرفة في الطابق الثاني. الطابق الأول غير مسكون، أنا وإيلين" نشغل الطابق الأرضي، وسيدي "الكونت" يشغل المخاتير العربي للقصر منذ وفاة سيديتي "الكونتينية".

ارتعشت "فلورا". إن الكونتينية "دي لويس هام" ماتت إذن ولا أحد يعرف شيئاً عن هذا في "كت"، ترددت خشية أن تتغوفه بشيء غير لائق، ثم فررت وقالت:
- هل ماتت الكونتينية منذ زمن طويل؟

شعرت بأن صوتها يرتعش، ولكنها لم تعرف السبب. بدا "جوزيف" كثوباً. لقد سمع سؤالها بالتأكيد؛ بما أنه أبدى الحركة نفسها التي بدرت منه عند سؤال "فلورا" الأول.

كانا قد وصلا إلى أعلى السلم. نظرت "فلورا" إلى سلسلة الأبواب الطويلة التي أضاءها نور شمعة "جوزيف" المرتعش شيئاً فشيئاً. قادها إلى نهاية الممر وفتح باباً. قال:
- ها هي.

أعضاء المصباح الذي كان على المنضدة وعندئذ استطاعت "فلورا" أن ترى الغرفة. شعرت كأنها في بيتها. في الواقع كانت الحجرة التي جهزها لها صغيرة مما يتناسب معها. كانت تخشى أن تعيش في غرفة واسعة من غرف القصر. كانت قد نسيت تماماً وضعها كمربيبة، الذي لا يسمح لها في أي من الأحوال أن تتساوى بسكان القصر.

قال "جوزيف":

ينتظر بفارغ الصبر حتى تنتهي السيدة الشابة من قدر الشاي و"البسكويت" ليقودها إلى حجرتها ويرتاح هو أيضاً بدوره.

وعلى الرغم من ذلك كان ينظر إلى "فلورا" بنوع من الفضول. توقف عند فستانها الأزرق الفاتح الذي يتناسب مع لون بشرتها بشكل خاص.

- أنت إذن المربيبة. حتى الآن لم يكن هناك سوى "إيلين" وأنا اللذين نهتم بهذا القصر. أوه! يا له من عمل شاق !!
بذا "جوزيف" كانه تاله في ذكرياته. استفادت "فلورا" من صحته محاولة أن تحصل منه على معلومات أكثر.

سألته بصوت عال:

- الم يكن لدى "مايكيل" مرivity قبلي؟
أوما "جوزيف" برأسه:
- لقد كنا بمفردنا مع "إيلين" سيكون ذلك طيباً بالنسبة لـ "مايكيل" ، أن يرى وجهها شاباً مثل وجهك. أتمنى أن تكوني ذات طبيعة مرحة.

- أجبت:
- إني مثل كل البشر: ساعة فرحة وساعة حزينة.
لم تستطع أن تمنع نفسها من التفكير في يوم دفن أمها، وفي هذا البيت الصغير الذي كانت ترثاح فيه على بعد أميال من هنا.
أوما "جوزيف" برأسه في حزن واستطرد:
- هنا.... الجميع حزين. كنت أتحدث في ذلك مع "إيلين" هذا الصباح. سألتها: "هل رأيت أحداً في هذا البيت يبتسم منذ سنتين"؟
- منذ سنتين؟

تجاهل "جوزيف" سؤالها واستطرد:
- نعم حتى هي لم تر أحداً يبتسم. مزاج السيد "چيمس" ينطبع على الجميع.

أخذت "فلورا" في السؤال:
- ولكن لماذا تقول منذ سنتين؟
شعر "جوزيف" بأنه ياخ بالكثير. فلم يجيب عن سؤالها وقال:

بالحيرة تجاه هذه الشروط. إنها الآن في المكان نفسه الذي يوجد فيه الكونت "چيمس دي لويس هام" مما زاد الوضع خطورة وزاد من قلقها. ما الشروط التي قد يملأها عليها؟

هل ستكون في حدود إمكانية قبولها؟
حاولت أن تتعقل. غداً سيكون هو وقت طرح الأسئلة. هذا المساء يجب أن تنام.

نامت نوماً متقطعاً، في الخارج لم يكف المطر عن السقوط، وتخلى نومها الكوابيس، وعند استيقاظها كانت في حيرة لم تعرفها قط من قبل. كانت هذه الكوابيس تبدو كأنها الواقع:

قال "چيمس" بصوت قاطع وهو ينظر إليها بقوة:

- يجب قبل كل شيء أن تجاوبي عن الشروط المطلوبة:
صمنت "فلورا". كانت تنتظر. رد بصوت أكثر قوة:
- الشروط... الشروط.

غولت القاعة فجأة إلى محكمة، وووجدت "فلورا" نفسها أمام القاضي، الذي سالها:

- "فلورا لارك"... هل تعرفين الموت؟
تمتنعت:

- الموت...؟! نعم، لا، لا أعرف.
- نريد إجابة واضحة.

أجابت:

- نعم ماتت والدتي. كنت أعالجها.

- لا داعي للتفاصيل غير النافعة. ماتت والدتك، حسن....

شعرت "فلورا" بأنها غاضبة وفي نفس الوقت مجدهدة.

تابع صوت "لويس هام" القاسي:

- تعرفين الموت إذن. هذا ما يجب أن تعلمي له "مايكيل". ماتت أمك منذ سنتين.

رد صدى حزين: "سنتين... سنتين".

سالت "فلورا" دون أن تجرؤ على أن تفهم:

- ماتت "الكونيسة" منذ سنتين.

ارتعشت "فلورا" كانت قد نسيت أن "چوزيف" مازال موجوداً، وكانت قد نسيت سؤالها أيضاً. بدا لها هذا الإعلان المفاجئ عن الموت نذير شؤم. لم تعلق على كلمات "چوزيف" الذي راح في صمت ثقيل.

سألها غير منتبه إلى الآخر السلبي الذي تسبب فيه:
الآن تتحاجين إلى شيء؟
- لا،أشكرك.

- في هذه الحالة سأتركك. طاب مساواك يا آنسة "لارك".

- طاب مساواك يا "چوزيف".

عندما اغلق الباب اتسست "فلورا" لهذا الأسلوب الرسمي الذي لم تعتد. وكانت هذه إشارة إلى بداية حياة جديدة تماماً بالنسبة لها. كان يومها صاخباً ومتعباً جداً حتى أنها لم تستطع أن تخلد للنوم بهدوء. بحثت في أغراضها عن خطاب الكونت "چيمس" الذي كتبه لها بنفسه.

آنسة "فلورا" لارك... .

على الرغم من أن عائلتك مجهولة تماماً بالنسبة لي لكنني استشعرت من خطابك أنك من وسط مشرف، وحاصلة على تعليم كاف حتى تنقل إلى أيدي "مايكيل" بعض هذه المعرف.

أرجوك إذن أن تحضري إلى قصر "لويس هام"، بمجرد أن يكون ذلك ممكناً؛ حتى تبدئي عملك في أقرب وقت ممكن. بالتأكيد عند وصولك ساطلوك على بعض الشروط التي لا تستطيع أن أكتبه. والتي تستطيعين أن ترفضيها. وفي هذه الحالة مستعددين من حيث أتيت على الفور.

وأكمل الخطاب ببعض المعلومات عن مكان القصر بالنسبة لخطبة قطار "لينسون"، وجملة خاتمة. كان التوقيع بخط جميل ومتزن. حفظت "فلورا" الخطاب عن ظهر قلب.

حاولت كثيراً أن تفسر معنى هذه الجملة الغربية دون أن تصل إلى إجابة مرضية. كان نص الخطاب - على أية حال - ينفي (الاقاويل بأن "چيمس دي لويس هام" شخصية خطرة يجب تجنب التعرف إليها) شعرت "فلورا"

قبلت "فلورا" مبتسمة. لم تنتظر أبداً أن تجد معاملة متساوية لمعاملة أهل البيت. لم يخرج "جوزيف" بعد، بدون شك لديه ما يقوله، ولكنه يبدو متربداً في أن يتكلم. تنظر "فلورا" الآن باهتمام للغرفة التي نامت فيها. بالأمس جعلها التعب والقلق غير قادرة على النظر إلى "الديكور" الذي ستعيش فيه. كانت الحوائط مغطاة بورق وردي فاتح أعجبها في مجمله: الأثاث عبارة عن سرير ومنضدة، أعلى السرير كان معلقاً لوحة تمثل غابة في فصل الخريف.

نظرت "فلورا" إلى الدولاب الواسع جداً الذي يحتاج إلى عشرة أضعاف ما لديها من أغراض.

على الرغم من أن اللون الوردي الفاتح يخفف من جدية الأثاث الخشبي، إلا أنه كان ينبع من هذه الحجرة جو ثقيل بل "خانق". هكذا كان شعور "فلورا". من الواضح أن هذا الأثاث لم يكن مصمماً لحجرة صغيرة كهذه. يقى "جوزيف" صامتاً. هو أيضاً كان ينظر إلى الحجرة ولم تعرف "فلورا" فيما يفكر. توجه "جوزيف" إلى الباب. وعندما هم بالخروج التفت قائلة:

- سيدى "الكونت" يريد مقابلتك هذا الصباح. عندما تكونين مستعدة انزلي إلى المطبخ وساقودك إليه.
نظرت إليه "فلورا" في فضول. وجهه الذي خططته التجاعيد غير معبر عن أي شيء. كلماته كأنها تتبع مراسم يجب احترام قواعدها على الإطلاق.

قالت:

- سأنزل حالاً.

بدأت إفطارها بشهية. ولكن سرعان ما شعرت بشيء في معدتها، صعد إلى حلقتها، منعها من الاستمتاع بوجبتها حتى آخرها، وعلى الرغم من جوعها لم تأخذ شيئاً من المربى، وتركت جزءاً من البيض وشرائح اللحم. اعترفت "فلورا" بأنها تخشى هذه المقابلة مع الكونت "جيمس دي لويس هام". عاد إلى ذاكرتها الكابوس. قالت في نفسها: "إني حمقاء؛ الكابوس ليس إلا حلمًا سيناً وليس له أية علاقة بالواقع"، حاولت أن تقنع نفسها

- هل تريدين أن تقول إنه لا يعرفه؟
- لا، لا يعرفه. عليك أنت أن تخبريه. نحن ننتظرك.
امتلاك القاعة بجمع غفير، ردد نوعاً من الصلاة مكوناً من جملة واحدة "نحن ننتظرك... نحن ننتظرك". لقد رأت "فلورا" حتى الكوتنيسة "دي لويس هام" ترتدي ثوباً أسود طويلاً، ووجهها شاحب مثل الأموات. كانت هي أيضاً تردد مع الآخرين نفس الجملة بصوت أحش. استطرد "جيمس دي لويس هام" الحديث. لاحظت "فلورا" أنه هو أيضاً يرتدي ملابس موداء.

قال لها كانه قرأ أفكارها:

- إني أليس ملابس الحداد على زوجتي. ستقابلينها بعد قليل.
لم تحاول "فلورا" أن تفهم. استيقظت لحسن الحظ بينما كان "جيمس" شرع يعرض الشرط الآخر.
لاحظت "فلورا" - في ارتياح - أن النهار قد أشرق بالخارج، استعدت في عجلة. أخيراً سترى "جيمس دي لويس هام" الحقيقي.
لكن كان يجب أن تعرف بأن كوابيس الليلة قد تركت في حلقاتها مرارة.

الفصل الثاني

دق الباب:

أجابت "فلورا" بصوت ناعس قليلاً.

- ادخل:

فتح "جوزيف" الباب. كان يحمل صينية. اكتشفت "فلورا" فوقها - بسعادة - إفطاراً شهياً: بيضة، وشرائح من اللحم، وخبزاً، مربى البرتقال، وشاي لا شيء ينقصها.

قال "جوزيف":

- طلب مني سيدى "الكونت" أن أقدم لك هذا الإفطار. طبيعياً ستتناولين الطعام معنا في المطبخ إلا العشاء.

بذلك. يجب أن أتحدث معه بشقة. يجب ذلك."

توجهت نحو النافذة التي كانت تطل على حديقة رائعة ممتدة على مدى البصر. شعرت بارتياح عندما شاهدت الأشجار الطويلة هناك في الأفق. قالت لنفسها: "إنه الآن".

قادها "جوزيف" عبر ردهة ضيقة في الجناح الغربي من القصر. اكتشفت "فلورا" - هنا وهناك - عدداً كبيراً من الصور الشخصية، ولاحظت أن كل هذه العيون تنظر إليها وتضاءف نحوها، فارتعشت السيدة الشابة.

قالت:

- أعتقد أن هذه الصور لأجداد سيدي "الكونت".

دوى صوتها بشكل غريب في هذه الردهة التي لم يظهر لها نهاية.

- آل "لويس هام" سلالة عريقة جداً تعتقد حتى "جيوم المنتصر".

تفوه بهذه الكلمات بتفاخراً واضح بهذه العائلة التي تحدّر من أصول عريقة.

استطرد:

- "إيلين" تستطيع أن تخبرك أفضل مني؛ فاسرتها في خدمة عائلة "لويس هام" منذ قرابة قرن.

لم تستطع "فلورا" أن تسيطر على ضربات قلبها المتسارعة: هذا المشوار الطويل مع صور أجداد "لويس هام" يخيفها أكثر مما كانت تعتقد. حاولت أن تصوّر أي الصور تشبه الكونت "جييمس"، في ضوء الشمعدان لاحظت أن لهم - جميعاً - نظرة جامدة وقاسية شبه شريرة، بالإضافة إلى أنه كلما اقتربت لحظة المقابلة ازداد قلقها.

فتح الباب وابتعد "جوزيف" لتدخل "فلورا".

قال قبل أن يرحل:

- الآنسة "فلورا لارك" هنا يا سيدي "الكونت".

رأى "فلورا" ظهره في البداية ثم التفت: إنه "جييمس دي لويس هام" ارتعشت "فلورا"، شعرت أنها ضئيلة وضعيفة أمام هذا الرجل ضخم الجثة.

قال بصوت ينم عن فقدان الصبر:

- افتربي إذن.

تقدّمت "فلورا". شعرت بأنه يراقبها فلم تحتمل نظرة عينيه الزرقاويين الفاحصتين. عرفت أنه قد ورث قسوة عائلة "لويس هام".

استطرد الكونت:

- حسناً، تفضلي بالجلوس.

جلس هو أيضاً خلف مكتبه الضخم من خشب الورد. جلس "فلورا" في مقعد من الجلد الذهبي. لم تعرف ما الذي أثر فيها أكثر: "الديكور" أم "جييمس لويس هام".

- أنت إذن الآنسة "فلورا لارك".

أجابت بصوت به احترام:

- نعم يا سيدي "الكونت".

شعرت بأن الكلمات لن تخرج من حلقاتها مادامت تحت تأثير نظرات عينيه الزرقاويين. دون أن تعرف لماذا.

قال:

- أرى أنني كنت محقاً عندما أعطيتك الغرفة الوردية. لا بد أنها أعجبتك؛ إن مظهرك ينم عن رقة بها حزن.

جادحت "فلورا" حتى لا تنجرر دموعها. إنها لم تتوقع قط مثل هذا الاستقبال، ولم تجهز إجابة لمثل هذه السخرية. رفع "الكونت" خصلة من شعره الأشقر كانت قد سقطت على جبهته دون أن يبدو مهتماً باثار كلماته الساخرة في "فلورا". تذكريت "فلورا" قرارها: "لا بد أن أكلمه بشقة"، تظاهرت بأنها تحمل السخرية التي في كلماته. قالت:

- أعتقد أنها ستعجبني.

ابتسم "الكونت". وتحفص وجه "فلورا" في اهتمام، وبدأ كأنه يجد سعادة في أن يغوص بعينيه الزرقاويين الباردين في عيني "فلورا" السوداويين الدافعين. كما تفحص بجرأة فستانها الأخضر الفاقع الذي اختارته لأول مقابلة لها مع "الكونت".

نهض فجأة:

- تلقيت خطابي إذن.

أجابت:

فكرت "فلورا": "كم يبدو حزيناً!"
قال كاته قرآ أفكارها:
- لابد أن أقول إن موتها قد أغرقني في حزن لم أفق منه حتى الآن، لم
أهتم إذن بتعليم "مايكل". لقد كانت "أورور" تتولى ذلك بشكل رائع.
استشفت "فلورا" نوعاً من العرفان في صوت "چيمس".
- اضطررت إذن أن أستدعى مريمية، يجب أن يعرف "مايكل" العلوم
التي ستفيده في حياته المقبلة.
توقف "چيمس" مرة أخرى لينظر إلى "فلورا".
سألته:
- هل تريد أن يكون تعليمه في اتجاه معين؟
صعقها بنظرته.
- ماذا تريدين؟ أن يجعله يعمل بدلاً منك؟ لا أريد أن أضيع وقتي. إنني
أعهد إليك بـ"مايكل"، افعلي به ما تشائين، فهذا لا يهمني.
كانت "فلورا" حائرة تماماً. لقد كان ما سمعته في "كنت" حقيقياً. إن
الكونت "چيمس دي لويس هام" غريب الأطوار لا يمكن التنبؤ بردود
أفعاله.
قال الكونت "چيمس" وهو يضغط على كل كلمة من كلماته:
- آنسة "فلورا لارك"، أرغب في أن يكون كل شيء واضحاً مبيباً. أنت
مستتصرين كما تشائين مع "مايكل". لن أتدخل أبداً في تعليمه.
يبعدو أنه قد استعاد هدوءه. تأثرت "فلورا". على أية حال، هذا دليل
لغة كبيرة. سمعته باهتمام.
- على الرغم من ذلك كنت لك عن بعض الشروط التي أضعها
بخصوص وظيفتك، ها هو أول تلك الشروط الاحترام المطلق لعدم التجول
بمفردك أو مع "مايكل" في الجزء الشمالي من الحديقة. عليك - أيضاً - أن
ترافق "مايكل" حتى لا يذهب في هذا الاتجاه.
كان يتحدث كأنه "چرالا يعطي" أوامر للجيش في معركة مهمة.
- هل تقبلين هذا الشرط؟
على الرغم من استيقاظ فضولها لم تطرح "فلورا" أي سؤال.

- بالتأكيد.
- هل فرآنه.
أخذ بروح ويحيى في الغرفة في عصبية.
أجابات:
- بالتأكيد.
دهشت لدخوله في الموضوع مباشرة، وأمللت أن يفسر لها هذه الرسالة
الغربية.
- وعلى الرغم من ذلك جئت.
كان واقعاً بالقرب منها فلم تستطع أن تمنع نفسها من الإعجاب بوقاره.
أجابات وهي تستعيد شيئاً فشيئاً ثقتها بنفسها:
- في الواقع، ها هنا.
انفجر في غضب:
- أرى ذلك جيداً.. أرى أنك هنا. أنت لم تفهمي شيئاً من خطابي،
وقد جئت!
لم تر "فلورا" ما يبرر غضب "الكونت".
- أعتقد أنني فهمت أنك تريدينني أن أحضر بسرعة.
هذا الكونت من عذوبة إجابتها. جلس - في مواجهتها - دون أن يعتذر
عن انفعاله.
اكتفى بقوله:
- بما أنك هنا سأشرح لك ما يجب أن تفعليه.
غضبت "فلورا" شفتها السفلية حتى لا تقاطعه. لابد أن تتقبل كل
شيء، إن "چيمس دي لويس هام" يعتقد أن كل شيء مسموح به في
مواقحتها، كأنه حيوان متواحش لم يتم استئناسه.
- إنني "مايكل" يبلغ من العمر عشر سنوات.
شعرت "فلورا" بالالم عندما لاحظت أن "الكونت" لا يتحدث بحنان
عن ابنه.

- ماتت الكونتنيسة "أورور لويس هام" منذ سنتين.
صمت "چيمس دي لويس هام". بدا الحزن في عينيه.

قبلت ذلك وهي تأمل أن يحل هذا اللغز في يوم ما.

قال "چيمس" بنبرة مهددة:

- انتبهي يا آنسة "لارك". أي إخلال بوعدك يعني أن تعودي من حيث أتيت على الفور. وأؤكد لك أنك لن تجدي مكاناً تعاملين فيه مريبة بعد رحيلك من هنا. وسأهتم بذلك بنفسني.

شعرت "فلورا" بالفزع. هل يقرأ هذا الرجل أفكارها. ردت ببساطة:

- أقبل.

بدأ "چيمس دي لويس هام" متسلكاً وحائراً في نفس الوقت:

- يجب أن أكون أمنياً معك يا آنسة "لارك"، لقد رأيت حوالي عشر فتيات شابات بعضهن لم يكن جميلات مثلك...
توردت "فلورا" وتسرعت ضربات قلبها أكثر فأكثر كأنه سينبع من صدرها.

- ... أريد أن أخبرك بأن إحداهن لم تقبل أن تبقى هنا حتى قبل أن تستمع إلى الشرط الثاني.

فكرت "فلورا" لماذا يحاول أن يكتفيها عن قرارها؟
استمعت إلى بقية هذا الحديث الغريب.

- قلت لك إنني أعهد إليك بتعليم "مايكيل" تحت كامل مسؤوليتك،
هذا يعني أيضاً لا أسمع منه أية شكوى بخصوصك. على أية حال هذه أول مقابلة بيننا وأتمنى أن تكون الأخيرة.

نظر إليها كأنه يريد معرفة أثر هذه الكلمات فيها. صمتت "فلورا" ولم يظهر على وجهها أي تعبير. لكنها أرادت أن تعرف ماذا يريد منها "الكونت" بالضبط.

ردد:

- أريد أن تكون آخر مقابلة. هل نحن متفقان؟
أذعننت "فلورا". ليس لها الخيار على أية حال. هذا المكان هو الوحيد الذي سمعت عنه، ولا تشنمني على الإطلاق العودة إلى بيتها الحالي في كنت. وكذلك كيف ستعيش؟ كان "چيمس" قد نهض بالفعل. لم يرد أن يطول هذا الحوار، الذي قد طال بالفعل بالنسبة له.

قال:

- في هذه الحالة يمكنك أن تعتبري الحجرة الوردية حجرتك.
اعتقد أنه لم يعد هناك ما يقال.

سالت "فلورا":

- هل استطيع أن أسألك سؤلاً آخر؟
نظر إليها.

- متى سارى "مايكيل"؟

عيس "الكونت" فجأة وصاح في غضب:

- متى سترىن "مايكيل"؟ بم استطيع أن أجيبك؟ تصرف في مع "جوزيف"
أو "إيلين". لا أريد أن أعرف شيئاً. هل تفهمين؟
توجه بسرعة إلى الباب وفتحه. قال وهو يصفق الباب خلفه:
- وداعاً يا آنسة "لارك".

زفرت "فلورا" إنها الآن خارج مكتب "الكونت". والآن قد قبلت هذه المعاهدة الغربية، يجب أن تحترم كل شروطها.

بدأت في السير في الردهة المظلمة لتذهب إلى الجناح الشرقي وهي تفك في تقلبات مزاج "الكونت" السريعة وغير المفهومة. هذا الرجل يعيش بالثأكيد حياة موحشة منذ موت زوجته. ولكن هل هذا سبب لمعاملتها كالطفل؟ واست نفسها بأنها قد صمدت أمام "چيمس لويس هام" نفسه، ابتسامت ابتسامة انتصار قررت معها أن تخرب مع "مايكيل" نتائج مدحشة؛ تخرج "چيمس لويس هام" نفسه من تحفظه المظلم ليهنتها.

الصور المعلقة (تحت ضوء الشمعدان الخافت) تخيلت أنها تسخر منها وتهدها. وكان ابتسامتها الساخرة تقول لها:

- ماذا تخيلين؟ أنت لست سوى غريبة هنا.

حاولت "فلورا" أن تتجنب النظر إليها، نوع من الحماس تملكتها. تخيلت أن الصور ترقص حولها في دائرة جهنمية تهمس بدون توقف. "عودي من حيث أتيت، عودي من حيث أتيت". أسرعت الخطى ووصلت أخيراً إلى نهاية الردهة، وعندما وصلت إلى النور وجدت أن مخاوفها تثير الضحك. ردت لنفسها أن "الكونت" يثق بها ثقة مطلقة بما أنه ترك لها ابنه بين

يدبها". لكنها انتبهت إلى أنها تجهل كل شيء عن "مايكل".

قالت إيلين:

- "مايكل... ألم يحدثك عنه سيدى "الكونت".

لقد تعرفت "فلورا" الطباخة تواً. كان وجهها مستديراً وشعرها رمادياً مجعداً، وبشأ. شعرت "فلورا" بالارتياح فور تعرفها إليها. إنها تتناقض - لحسن الحظ - مع كل سكان قصر "لويس هام" الذين قابلتهم حتى الآن.

أجبت "فلورا":

- لا. للحق لم يعطني سيدى "الكونت" أية معلومة. لقد ترك لي كامل الحرية في تعليم "مايكل".
وعدد "فلورا" نفسها بأن تسأل "إيلين" عما إذا كانت تعرف سر الجزء الشمالي من الحديقة.

ابتسمت "إيلين" ابتسامة حزينة:

- تقصدين على الآخرى: كامل المسؤولية. إنه سعيد جداً لأنك تخلصيه من هذا العمل.

ووجدت "فلورا" الكلمات مشيرة للقلق. سالتها:

- هل صحيح أنه جاء قبلي حوالي عشر فتيات للعمل في هذه الوظيفة ورفضن جميعهن البقاء؟

أجبت "إيلين" في حزن:

- هذا صحيح.

- لكن لماذا؟

زفت الطباخة.

- أعتقد أن سيدى "الكونت" أساء استقبالهن للغاية. إن طباعه حادة قليلاً، ولابد أنك لاحظت ذلك.

ابتسمت "فلورا":

- حادة قليلاً ليست الحقيقة بالضبط.

استطردت "إيلين":

- إني أذكر واحدة منها على الأخص كانت تشبهك قليلاً.
كان شعرها ملؤيلاً وحريرياً مثلث، رأيتها تخرج من مكتب سيدى "الكونت" تبكي في عنف. أعددت لها قدحاً من الشاي، حتى بعد أن شربته لم تعرف أن تقول لي ما حدث.

نهضت "إيلين" كأنها تذكرة فكرة، صاحت:

- كم أنا غبية! لابد أنك تحتاجين قدحاً من الشاي أنت أيضاً.

وضعت الشاي في البراد ثم استطردت:

- هل سنكون على راحتنا في الحديث؟

قامت "فلورا" في سرور، يشعرت بأنها استعادت هدوءها الآن بعد أن جف حلقها، وأصابتها اضطراب شديد بسبب حديثها مع "الكونت".
لذا ذكرت في كل لحظة صورة "جيمس لويس هام"، وهو يقف أمامها بجسمه الضخم.

قالت "فلورا" لجهب من تفكيرها:

- وبعد ذلك قد نستطيع رؤية "مايكل".

هزت "إيلين" رأسها، وقالت:

- سذهب. ولكن قبل ذلك ألم يخبرك "الكونت" بشيء؟ ألم يحدثك شيئاً عن شيء؟
بحثت "فلورا" في ذاكرتها، وأخيراً قالت:

- نعم لم يحدث شيء. قال لي فقط إن تعليمي قد أهمل منذ وفاة والدته وإنه لا يجب تحتن. أية حججة أن يذهب إلى الجزء الشمالي من الحديقة. عند سماعها هذا الكلمات بدت "إيلين" كأنها ترتعش.

قالت "فلورا" وهي تنظر باللامبالاة:

- بالمناسبة، هل تعرفين ماذا يوجد في هذا الجزء من الحديقة؟
لم تجرب "إيلين". صبت الشاي في حرص وارتشفت جرعة. وبعد ذلك بدأت تتكلم. قالت:

- لا أعرف، لا أعرف. لسجدي أحياناً أفكار غريبة يدافع عنها بإصرار دون أن يكون لها أساس.

شعرت "فلورا" بخيبة أمل. كانت تظن أن هناك سراً، وهذا هو لا يوجد

ذهب لتحضير الغداء. لاحظت أن "إيلين" تنظر إليها، وقرأت في نظرتها نوعاً من الشفقة تجاهها. لم تستطع أن تحتمل هذه النظرة ونهضت. قالت في بهجة مصطنعة:

- حسناً، ما هو مرضه إذن؟

تهجدت "إيلين" من جديد وقالت:

- "مايكيل" عمره عشر سنوات. ولكنه يبدو في الخامسة، فهو ضعيف جداً. إنني أسأل نفسي لماذا تستطعين أن تعلمي، نظراً لحالته التي هو عليها، لقد قلت مراراً لسيدي "الكونت" إنه يجب استدعاء معلم لـ "مايكيل" عندما تحسن حالته، ولكن منذ عدة أشهر ليس هناك إلا هذه المفكرة في ذهنه: استدعاء مربية تهتم بتربيته. وكنت أسأل نفسي -

أيضاً - إذا كان جاداً في هذه الرغبة فلم يخيفهن جميعاً؟ لم تعجب "فلورا" كلمات "إيلين" التي تشينها عن الحياة في قصر "لويس هام". سالت:

- لكن ما مرضه؟

بدت "إيلين" دهشة من تبرة "فلورا". أجبت:

- لا أحد يعرف بالضبط. منذ سنين وهو يعاني نوبات سعال شديدة تفقده قوته، ويصاب أحياناً بالحمى، ثم يهدأ، وأحياناً أخرى يبدو قد شفي، ولكنه إذا نهض يسقط على الفور، ويعاوده السعال. قال الأطباء إنه هزال.

ارتعدت "فلورا" عند سماعها لهذا الاسم. إنه المرض الذي أودى بحياة والدتها.

- لكن إذا كان الأمر كذلك فإن فترة سنين تثير الدهشة.

خفضت "إيلين" صوتها:

- مات زوجي بنفس الداء، ولم يستمر أكثر من عدة شهور.

- أنا أيضاً أعرف هذا المرض للأسف. عانته والدتي لفترة بدت طويلة. صمتت السيدتان.

قالت "إيلين":

- إنه مرض صعب جداً.

سوى وسواس أصحاب هذا الرجل الذي تأثر - بدون شك - بموت زوجه تأثراً شديداً. في الواقع كان "جيمس دي لويس هام" غير مفهوم... استطردت "إيلين":

- لكنني مندهشة لأن السيد "جيمس" قد أصر على هذه النقطة؛ إذ إن "مايكيل" لم يغادر حجرته منذ سنين، وهو لن يجرؤ على الجري إلى أي مكان في الحديقة مهما كان.

أصيبت "فلورا" بالحيرة. هذا التوجس الذي أصحابها عندما كانت تسير في الردهة قد عاودها الآن بنفس القوة. سالت نفسها إذا كانت لا تزال تريد رؤية "مايكيل". قالت لنفسها: "وماذا إذا رحلت؟" وعلى الرغم من ذلك دفعها شيء غريب للبقاء؛ هناك نوع من المغناطيسية في هذا المكان يجذبها. طلما قالت "فلورا": "إن الإنسان يمكن أن يحب مكاناً كحبه لشخص".

سالت وتبيّنت على الفور حمافة سؤالها:

- هل "مايكيل" مريض؟

أجابت:

- إنني مندهشة لأن سيدي الكونت لم يشر إلى ذلك. ربما اعتقد أنه لن تبقى، وبالتالي لا طائل من إخبارك.

شعرت "فلورا" بأنها تكذب عليها. لقد اتفق معها "جيمس لويس هام" على أن تبقى في القصر وتتهرّب "مايكيل". "إيلين" لا تفهم شيئاً. ربما قد نسي "الكونت" - ببساطة - أن يحدّثها عن مرض ابنه.

توقفت "فلورا" فجأة. استنتاجها ليس معقولاً. كيف يكون من الممكن أن ينسى التحدث عن مرض ابنه مع الشخص الذي سيأخذ على عاته تعليميه؟

فكرت في أنه قد يكون تجنب الإشارة إلى ذلك خشية أن ترفض العمل. والآن - وقد أعطته كلمتها - لا تستطيع أن تتراجع ببساطة، قائلة: "ابنك مريض، ولم أكن أعرف... لن أستطيع..."

ابتسمت "فلورا" لقد وجدت تفسيراً مقبولاً. وعلى الرغم من ذلك استمر توجسها، قررت أن تكون "إيلين" قد نسبت موضوع حديثهما، وأن

لاحظت أنها قد اختفت. شعرت بأنها بمفردها من جديد. عاد إليها تفكيرها في أن ترك آل "لويس هام" لمصيرهم وترحل. ولكن شيئاً آخر في داخلها حدثها بأن تبقى.

جلست إلى جانب "مايكيل" على السرير لتحدّثه. نهض "مايكيل" وجلس في سريره.

سالها:

- لماذا أنت هنا؟

شعرت "فلورا" بأن كلماتها الأولى لابد - بدون شك - أن تكون قاطعة. أجبت:

- طلب مني والدك أن أحضر. قابلته هذا الصباح، فعهد إلي بتعليمك. هذا على أية حال ما أخبرني به.

دهشت لهذا النضج الذي في عيني الطفل. على الرغم مما يبدو عليه، كانه طفل في السابعة، فإن نظرته على العكس نظرة رجل.

- هل يظن أبي الآن أنني أستطيع أن أشفى؟

أجبت "فلورا" مضطربة لهذا السؤال:

- بالتأكيد، لماذا سيهتم - إذن - بتعليمك مال لم يكن الأمر كذلك؟ قال لي: "لابد أن يحصل "مايكيل" على المعرفة الازمة لحياته المستقبلية كـ"لورڈ إنجليري".

ففهمه "مايكيل" في سعادة. هذا الخبر ملاه بالفرح.

قال في حماس:

- ماذا ستفعل إذن؟

نظرت إليه "فلورا" في حنان وشرحت له برنامجها: التاريخ، الأدب، العلوم، الطبيعة، الرسم، الحساب، وربما قليل من الفرنسيّة... وافق "مايكيل" على كل شيء في حماس وللمرة الأولى منذ مجئها إلى "لويس هام" شعرت بأنها سعيدة.

عندما صعدت إليها "إيلين" بعد قليل دهشت عندما رأت هذين الغريبين منذ قليل يتحدون كأنهما متّعارفان منذ وقت طوبل. ووسط فرحتها وعدت "فلورا" بأن تحمل اللغز الذي يمثله "جيمس لويس هام"

حاولت "فلورا" إلا تستدعي ذكرياتها.
- "مايكيل": لديه الاعراض، ولكن لا أحد يعرف كيف يصمد كل هذا الوقت. إنه ضعيف جداً ويتجدد بصفوية...
ابتسمت قائلة:

- على الرغم من أنني أعد أطباقاً شهية. وهو الآن أفضل، على أية حال يقول الأطباء إنه سيشفى قريباً ولكنني لا أعرف. صعدت "فلورا" درجات السلالم الكبير متّاءرة. تابت "إيلين" :

- يعيش "مايكيل" في الغرفة الوحيدة المسكونة في الطابق الأول. ووجدت "فلورا" في ذلك عزلة قاسية. وعرفت آثار اللامبالاة المتّوهشة لدى "جيمس لويس هام".

دخلتا الغرفة دون أن تحدثا صوتاً. كان "مايكيل" نائماً: أدرك "فلورا" أنها لن تنسى هذا المشهد أبداً، كان وجه الطفل نحيفاً وجسده صغيراً تحت الغطاء. نظرت إلى المكتبة التي تحتوي على عدد من الكتب. بدون شك يشغل "مايكيل" أوقاته الطويلة في القراءة. لاحظت أيضاً لعبة الورق وبعض الأوراق التي رسم عليها "مايكيل" عدة رسومات.

فتح عينيه، ودهشت "فلورا" عندما رأت نظره القاسي الذي تنتهي إلى عائلة "لويس هام"، المرض لم يستطع أن يمحو منه الطاقة المتّوهشة التي تفسر - بدون شك - استمرار سلالة عائلة "لويس هام" خلال كل هذه القرون من الأضطرابات التاريخية.

قالت "إيلين" :

- "مايكيل" ، هذه مريرتك: الآنسة "فلورا لارك"؛ من الآن فصاعداً ستتهم بذلك.

نظر إليها "مايكيل" غير مبالٍ. ولم يقل شيئاً.

قالت "فلورا" :

- "مايكيل" ، سبقي - بدون شك - وقتاً طويلاً معاً. وستعلم كيف تعرف إلى بعضاً، أليس كذلك؟

أوما "مايكيل" برأسه، أرادت "فلورا" أن تسأل "إيلين" عن شيء لكنها

سرعة.

رما يستطيع أن يساعدها "مايكل" على ذلك.

الفصل الثالث

ذات مرة كشفت "فلورا" عن دهشتها لـ"إيلين" التي تذكرت أن "فلورا" سبق أن طرحت عليها سؤالاً بشأن هذا الجزء من الحديقة.
فالت، بينما كان "جوزيف" قد ذهب لشراء بعض الاحتياجات:
ـ هذا مشير للفضول، لماذا يتم الاعتناء بكل الحديقة إلا هذا الجزء الشمالي.

لاحظت "فلورا" ارتباك "إيلين" التي أحيطت:
ـ منذ موت سيدتي الكونتينية يرفض السيد "جيمس" الاعتناء به.
كانت سيدتي تحب التريض في هذا الجزء خاصة.

أدركت "فلورا" معنى الحظر الذي فرضه "الكونت"، ولكن منذ هذه اللحظة شعرت بالألم لأن كل خطوة من خطواتها تتبع آثار الخطوات التي تركتها الكونتينية "أورور".

ذات ليلة استيقظت "فلورا" فزعة. تبهت فجأة. لأن هناك شيئاً غير طبيعي يحدث. صوت غير معروف يصدر من إحدى حجرات الطابق الأول. جلس "فلورا" في سريرها وقلبتها يدق بعنف. لا أحد يسكن الطابق الأول. لقد أكد لها ذلك "إيلين" و "جوزيف" استمر الصوت، يبدو أنه قادم من الأرضية، ذلك يعني أنه قريب جداً. ميزت "فلورا" صوت الدمام ثم ضوضاء كان أحدها ي يريد نقل أثاث الغرفة: فكرت "فلورا" على السور في "مايكل". على الرغم من خوفها انهضت ونزلت حتى غرفة الطفل. في الظلام، شعرت بأنها قد تجمدت بفعل الخوف. مشت في صمت حتى لا تثير انتباه اللص المحتمل وجوده. ولكن في نهاية الردهة في غرفته الهدامة كان "مايكل" ينام في سلام. لم يكن الصوت واصلاً حتى هذه الغرفة.

تملكها خوف لا تعرف سببه، لم تستطع "فلورا" استكمال بحثها على الجانب الآخر، صعدت السلالم الكبير بسرعة ولاذت بغرفتها. أوصدت بابها بالفتح، هذا الذي لم تفعله منذ مجئها إلى القصر. حاولت أن تسيطر على تنفسها ودخلت تحت الأغطية وانصست: هذا لا يمكن أن يكون تخفيلاً. إنها أصوات أقدام، و "فلورا" متأكدة أن حاسة سمعها لم تختناها. ولو واتتها الشجاعة لنزلت إلى الغرفة التي تحت غرفتها مباشرة. إذا كان

اعتقدت "فلورا" بسرعة الحياة في قصر "لويس هام". كانت تستيقظ في حوالي الساعة الثامنة، كل صباح تجهز نفسها ثم تنزل إلى المطبخ لتناول الإفطار مع "جوزيف" و "إيلين". كان "جوزيف" منطرياً - بطبيعته - وساعد على ذلك صممها. كان يجلس مبتعداً عن الأحاديث المرحة بين السيدتين. بعد ذلك كانت "فلورا" تذهب إلى "مايكل". وتقضى اليوم معه. تقرأ له وتعلم الأحداث الرئيسية في التاريخ الإنجليزي. كانت قد بدأت تعلمها بعض الكلمات الفرنسية، وسعد "مايكل" كثيراً للأصوات الموسيقية الغريبة عليه في هذه اللغة. وشرح له "فلورا" أن جزءاً من عائلته أصله من جنوب فرنسا مما يفسر اللون الداكن لعيونه وشعره.
كان "مايكل" يستريح ساعتين بعد الظهر مما كان يتركه لـ"فلورا" الوقت للتنزه في الحديقة قبل أن تجتمع به من جديد لتدرس له العلوم الطبيعية، والحساب وتشجعه على الرسم.

كانت تجلس على الحشائش في بعض الأحيان في الشمس و تستكمم الأشغال اليدوية التي بداتها منذ وقت طويل. وأحياناً أخرى كانت تقرأ قصة حزينة أو تكتب لأولاد عمرها في فرنسا أو لأصدقائها في " كنت".
في كل مرة كانت تدور فيها حول القصر كانت تفكير في أنه أقرب إلى أن يكون حصناً أو قلعة، وليس مسكنًا. توقفت لتأمل الواجهة التي تفضليها. كانت معجية بشكل الأحجار المقطعة بالتساوي، وقطع الأحجار الوردية المتناسقة تماماً.

ولكنها كانت تتأمل - في فضول - الحديقة الممتدة نحو الشمال. كانت الحديقة مثالاً للتناسق، فهي أرض شاسعة مزروعة بالحشائش تقطعها ممرات مستطيلة، نحو الشمال غابة من الحشائش العالية التي لم تقطع، تخفي الأفق.

هناك أحد ما فهو لا يزال موجوداً. كانت متأكدة من ذلك. طرأت على ذهنها أفكار مجتونة: "من يستطيع أن يمشي في هذه الغرفة المهجورة وينقل الآثار بكل هذا العنف؟ لماذا في هذا المكان بالضبط الذي تستطيع منه وحدها أن تسمع هذه الأصوات؟"

فكرت في "جيمس" هل يريد إخافتها حتى ترحل؟ وجدت أن هذا الاستنتاج مثير للضحك. إن "جيمس" يسكن الجنان الآخر من القصر. لماذا يأتي في قلب الليل إلى هذا الجزء من القصر. بينما يملأ كل الوسائل الأخرى التي يستطيع بها أن يطرد لها إذا رغب في ذلك؟ لا.. لايد أن هناك شيئاً آخر. كان في هذه الضوضاء التي ظهرت فجأة في قلب الليل نوع من الصدى... لم تعرف كيف تفسر ما شعرت به... صدى غير طبيعي: "نعم إنه شيء غير طبيعي".

تسمرت "فلورا" في مكانها. تخيلت صور "أورور" في الهواء. وهل كانت هي من عاد إلى هذه الحجرات المهجورة التي كانت تعيش فيها قديماً؟

تخيلت "فلورا" جسداً أبيض يحوم حول سريرها. جحظت عيناها إذ لم يكن هناك شيء. لكن يبدو أن "أورور" قد هربت من مشواها الابدي وجاءت تحوم حول "فلورا" وإنه إنذار. ولكن مامعنه؟ ارتعشت "فلورا". راحت أفكارها في كل الاتجاهات دون أن تستطيع توجيهها نحو هدف. توفرت الأصوات. في ظل الصمت المطلق الذي يغلف القصر كالضباب الكثيف، زاد قلق "فلورا".

فجأة في قلب الليل دوت صرخة ثم صوت أقدام تهرع إلى السلم. ولا شيء بعد ذلك. عاد الصمت من جديد.

تملك الذعر الفتاة الشابة. أبداً لن تنسى هذه الصرخة. صرخة ليست لإنسان ولم تسمعها قط من قبل... إنها صرخة حيوان جريح... أو ميت. دارت الكلمات في رأسها. "أورور".... "جيمس"... إنها لم تعد تعرف. إن الخوف تمثل كل كيانها ولم تعد تحاول أن تسيطر عليه. عندما أغفلت عينيها رأت فيما شوهرته المعاناة، يطلق صرخات حيوانية لا تنتهي. وعندما فتحت ثماماً اعتقادت أنها ترى أشكالاً تتوجه

نحوها وكأنها تلمسها.

بعد عراك طويل مع الليل تعبت "فلورا" ونامت. انظرت بفارغ الصبر رحيل "جوزيف". لم تحب أن تبوج بمخاوفها أمام الرجل العجوز، لأن سمعه ضعيف ولأن قسوة قلبه ستمنعه عنأخذ مخاوفها بجدية. منذ وصولها لاحظت "فلورا" أن "جوزيف" ظل لسيده. إنه لا يهتم بأحد سوى الكونت "جيمس دي لويس هام"، دون ذلك فليس له أي اهتمام. عندما رحل "جوزيف" اقتربت "فلورا" من "إيلين" ، لم تعرف كيف تبدأ الحديث، ولكن يجب أن تتحدث. بدأت:

- "إيلين".....
لم توقفت ولم تستطع أن تجد الكلمات.
ماذا هنالك؟

اللقت إليها "إيلين" فلاحظت توتر الفتاة الشابة.
أريد أن أقول لك إن قصة غريبة حدثت لي هذه الليلة.
جلست الطباخة إلى مائدة المطبخ وبدأت تستمع باهتمام.
قالت "فلورا":

- هذه الليلة سمعت صوتاً في الحجرة التي تقع تحت حجرتي مباشرة.
يذا على وجه "إيلين" دهشة مطلقة. قالت:
- لكن هذا مستحيل... ليس هناك أحدمنذ...
توقفت. نظرت إليها "فلورا":
- إنها أصوات خطوات أقدام وبعد ذلك ضوضاء غريبة تماماً كان أحداً يحرك كل الآثار.

شحيت "إيلين" وسألتها:
- هل أنت متأكدة.

بددت النظرة التي رمّقها بها "فلورا" كل شكوكها في صدق الفتاة.
استطردت "إيلين":
- إن هذه الغرفة....
توقفت من جديد.

- أليس لديك أية شكوك في مصدر هذه الأصوات؟

حدث. وعلى الرغم من ذلك كانت متأكدة أن الأصوات التي سمعتها ليلة أمس ليست من نتاج خيالها. ترددت "إيلين" في أن تتابع الحديث وفي النهاية قالت:

- هذه الحجرة كانت لسيدي الكونتيسة.
ارتعدت "فلورا". بدا لها كأنها تعرف ذلك من قبل.
سألتها "إيلين":

- هل تؤمنين بعودة الأرواح؟

قابل السؤال صمت كثيبة. لم تعرف "فلورا" بما تجيب.
طوال الليل وصورة "أورور" تعذبها. حتى ذلك الوقت لم تكن تعير أي انتباها لقصص الاشباح التي كانت تسمعها. أخيراً قالت:

- لا أعرف. لماذا تساليني هذا السؤال؟

ترددت "إيلين" ثم قررت أن الفتاة جديرة بالثقة. قالت:

- سأشرح لك. ماتت الكونتيسة "أورور" منذ سنتين تقريباً ولكن حتى اليوم بقيت ظروف موتها غامضة. بقيت "أورور" عدة أشهر مريضة. هي التي كانت تحب أن تُعرض في الجزء المهجور الآن من الخدبة. كان سيدي "الكونت" يبالغ الحزن ولم يعرف ماذا يفعل ليخفف عن زوجته. كانت تقضي أيامها مدة على سريرها، وعيتها جاحظتان في حالة وهن كامل، غالباً ما كانت ترفض الطعام عندما كنت أحضره إليها، وأخذت تضعف يوماً بعد يوم.

فكرت "فلورا" في "مايكيل" .. ربما كان مرضه وراثياً.
استطردت "إيلين":

- سمع الأطباء ذلك المرض بـ"الاكتتاب". كانوا يقولون إن السيدة "أورور" بحاجة إلى التخفيف عن النفس. إذا وجدت الوسيلة لذلك؛ فسوف تشفى على الفور. غضب "الكونت" بشدة وطردهم جميعاً قاتلاً إياهم بولفوبياً لا وجود لها؛ لأنهم لا يعرفون ماتعانيه بالضبط. في الواقع لم تكن هناك أية أعراض محددة. لا حمى ولا سعال ولا إغماء....

قاطعتها "فلورا":

- ولكن ماذا كانت تقول الكونتيسة "أورور"؟

خففت "إيلين" صوتها كأنها تخشى أن يسمعها أحد.
قالت "فلورا" في حزم:

- نعم ليس لدى شكوك، لقد ذهبت حتى غرفة "مايكيل" لاري إذا كان نائماً أم لا.

نظرت إليها "إيلين" في إعجاب؛ لو كانت مكانها لما جرأت على الخروج من غرفتها.

سألتها "فلورا":

- لكن ألم تسمعي شيئاً؟

أومأت برأسها. وأجابت:

- نعم لم أسمع. إنني آنام أسفل حجرة "مايكيل" بالإضافة إلى أن نومي ثقيل.

- هذا غريب لأنني بعد ذلك سمعت خطوات أقدام تسرع إلى السلالم الكبير.

نظرت إلى "إيلين" آملة في أن يذكرها ذلك بالصوت غير الطبيعي.

قالت "إيلين" في النهاية:

- لا... إنني لم أسمع شيئاً.

أضافت كأنها تعتذر، لأنها لا تستطيع أن تقدم لها عوناً.

- أنا لست بجوار السلم.
- و"جوزيف" ألم يقل لك شيئاً؟

أجابت:

- "جوزيف" هل تعتقدين ذلك؟.. ذات ليلة هبت عاصفة شديدة، استيقظ الجميع في فزع، ولم يستطع أحد أن يعاود النوم بسبب صوت الرعد المدوي، ولم يسمع "جوزيف" شيئاً.

قالت "فلورا":

- وهذه الصرخة؟! هذه الصرخة الحيوانية؟!

دهشت "إيلين" لصوت "فلورا" الحاد:

- آسفه، لم أسمع شيئاً.

صممت "فلورا" وقد أصابتها خيبة أمل. ليس لديها أي دليل على ما

فقط معرفة إذا كانت "الكونتيسة" قد قتلت نفسها أم أن هناك حقاً مريضاً غامضاً ينهي حياة المريض بهذه السرعة. لم يتوقع أحد أي احتمال آخر. كما تقولين هناك أمراض غريبة جداً: إن ظهور "الكونتيسة" المتكرر في قرية "مانسون"، هو الذي قاد الناس إلى التفكير في أن القصة ليست بسيطة كما تبدو. استمعت إلى هذه الرواية في عصبية شديدة. سالت نفسها كيف ستواتيها الشجاعة حتى تناول ليلة أخرى بمفردها في حجرتها التي تعلو مبادرة حجرة صاحبة القصر المتوفاة؟

ـ لكن أنت ما رأيك؟

نظرت "إيلين" إلى "فلورا" في تشكيك. قالت:

ـ لست أدرى. لقد كانت الكونتيسة مريضة جداً.

شعرت "فلورا" بميل "إيلين" إلى الكتمان. وأدركت أنها أسرفت في طرح الأسئلة. وأن الوقت قد حان لوقف هذا الحديث. ومن ناحية أخرى كان هذا الوقت الذي يجب أن تصعد فيه إلى حجرة "مايكل".

قالت "إيلين" راغبة في إنهاء الحديث:

ـ أهم شيء لا تخبرني "جوزيف" بآية كلمة من حديثنا.

ابتسمت "فلورا". إنها لم تفكّر فقط في أن تفعل. هي التي لا يتجاوز حديثها مع "جوزيف" كلمات التحية.

طمانت "إيلين" ولاحظت في نفس الوقت الخوف الذي تشعر به "إيلين" تجاه "جوزيف". هل لهذا الخوف مبرر؟ أرادت "فلورا" أن تعرف. قالت:

ـ أريد أن أطرح عليك سؤالاً آخرًا: هل كانت "الكونتيسة" جميلة؟

انفوجت أسارير "إيلين" وأجابت:

ـ أوه! نعم. بعد الغداء بينما يستريح "مايكل"ـ ساطلوك على صورتها.

طوال اليوم لم تكف "فلورا" عن التفكير في "أورور": مرضها، ظروف موتها وحملها. من وقت لآخر تخيلت ابتسامة "چيمس" الساخرة، وجسده القوي، وعينيه الزرقاويين اللامعتين كنصل السيف.

نادتها "إيلين":

ـ تعالى.

ـ لم تكن تقول شيئاً، كانت صامتة. أو كانت تتهجد. أحياناً كانت تطلب أن يتركوها وشأنها. لم تكن تريد أن تشفى، كانت تتنمّى الموت حتى ابنها "مايكل" لم يجعلها تمسك بالحياة.

بدأ الحزن على وجه "إيلين"، قالت:

ـ تعرفي السيد "چيمس". ليس ميتهجاً بطبيعته على الرغم من أنه تغير منذ وفاة "الكونتيسة" إلا أن طبيعته القاتمة لم يغير مرض زوجته منها شيئاً. يوماً ما ساءت حالة السيدة بسرعة جداً. لم يعرف أحد لماذا، كما قلت لك، لم تكن هناك أية أعراض لاي مرض. إلا أنها أخذت تتقى دماً وتشكو الملا في سائر جسدها. استدعي سيدي "الكونت" الأطباء، لكنهم وصلوا متأخرین، كانت "الكونتيسة" أورور قد ماتت.

بعد صمت طويل. كانت "إيلين" تعيش ذكريات تلك اللحظات المؤلمة بينما غاصت "فلورا" في حلم بدون هدف.

استطردت "إيلين" :

ـ ومن هنا يقولون إن الأموات لا يستطيعون أن يرقدوا في سلام طالما لم يعرف سبب الوفاة. وبشأن الكونتيسة "أورور" هناك الكثير من الشائعات.

خفضت "إيلين" صوتها وهي تتحدث:

ـ أحياناً يقولون إنها قتلت نفسها. صاحب فندق في "مانسون" يحكى أنه رأى ذات ليلة شبح "الكونتيسة" يطوف في شوارع القرية. رأها عبر نافذة الفندق. كانت تتجه نحو القصر، وهو ليس الشاهد الوحيد على ذلك. أنا نفسي لم أر شيئاً. ولكن عندما ذهب "جوزيف" إلى "مانسون" عاد بأخبار عن ظهور "الكونتيسة".

ارتعدت "فلورا". حاولت أن تطمئن:

ـ ولكن لم لا تكون قد ماتت بسبب مرضها؟ هناك أمراض تبدو غريبة. تحدثت "إيلين" بصوت منخفض جداً حتى إن "فلورا" مالت نحوها لتسمعها:

ـ اقترب الأطباء على سيدي "الكونت" أن يسمح للبوليسي بإجراء تشريح للجثة لمعرفة سبب الوفاة. لكنه صاح بهم بأنه لن يسمح للبوليسي بدخول قصره أبداً، وهو على قيد الحياة، أدهشهم رد فعله إذ إنهم قصدوا

يُكَلِّنُ لَدِيهَا سَوْى رغْبَة وَاحِدَة، هِي أَن تَخْرُج مِن هَذَا الْمَكَان الْمَلْعُون بِسُرْعَةٍ. فَجَاءَ فَكْرٌ فِي أَنَّه لَا يَفْصِلُهَا عَنْ "جِيمِس دِي لُويِس هَام" سَوْى هَذِه الرَّدْهَة فَزَادَ اضْطِرَابَهَا.

بَدَتْ "إِيلِين" شَارِدَةٌ تَتَنَاهِلُ الصُّورَة. الْقَتْ. "فُلُورَا" إِلَيْهَا نَظَرَةً أَخِيرَةٍ. فِي الْوَاقِع إِنَّهَا صُورَةٌ تَحَقَّقَ فِيهَا الْكَمَال.. عَادَتْهَا الْغَيْرَة. زَفَرَتْ بِعُقْمٍ، مِنْ كُلِّ أَفْكَارِ الْاِنْتِقَامِ الَّتِي دَارَتْ فِي رَأْسِهَا لَمْ تَفْكِرْ قَطْ فِي احْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ الرَّسَامُ قَدْ تَدْخُلَ لِيُخْفِي بَعْضَ عَيُوبِ وَجْهِ "أُورُورَ" تَامَّتِ الصُّورَة وَقَابَلَتْ مِنْ جَدِيدٍ اِبْتِسَامَةً "أُورُورَ" الْحَزِينَة، بَدَتْ كَائِنَهَا تَنْتَهِي إِلَيْهَا فِي عَنَابٍ. أَدَارَتْ "فُلُورَا" رَأْسَهَا.

سَالَتْهَا "إِيلِين":

- مَا رَأَيْتَ؟

شَعَرَتْ "فُلُورَا" أَكْثَرَ مِنْ أَيْ وَقْتٍ بَانِهَا غَرِيبَةٌ عَنْ قَصْرِ "لُويِس هَام" الَّذِي نُسِجَ فِي التَّارِيخ عَبْرِ السَّنَوَاتِ الْعَدِيدَةِ بِدُونِهَا. أَجَابَتْ:

- إِنَّهَا جَمِيلَة.

لَمْ تَلْاحِظْ كُلَّ هَذَا الْمَحْدُودِ الَّذِي حَمِلَتْهُ كَلْمَاتُ "فُلُورَا". قَالَتْ "إِيلِين":

- هَذَا غَرِيبٌ، أَنْتَ تَتَحدَّثُ عَنْهَا كَائِنَهَا مَا زَالَتْ حَيَّة. نَظَرَتْ "إِيلِين" إِلَى "فُلُورَا" فَارْتَعَشَتْ تِلْكَ الْآخِيرَة، إِنْ وَجُودُ "أُورُورَ" يُسْطِرُ عَلَى الْمَكَان.

قَالَتْ "إِيلِين" مُتَخَلِّلَةً أَنْ فِي ذَلِكَ مُجَامِلَةً لـ "فُلُورَا":
- هَلْ تَعْرِفُنِي أَنْتَ تَشَبَّهُنِي قَلِيلًا؟

تَوَرَّدَتْ "فُلُورَا"، وَلَكِنْ لَيْسَ خَجْلًا. وَفَضَلَتْ أَنْ تَحْفَظَ بِالصَّمْتِ. فِي مَسَاءِ هَذَا الْيَوْم، اَنْسَحَبَتْ "فُلُورَا" إِلَى غُرْفَتِهَا بَعْدِ العَشَاءِ مُبَاشِرَةً. كَانَتْ قَدْ اعْتَادَتْ أَنْ تَبْقَيْ قَلِيلًا مَعَ "إِيلِين" وَلَكِنْ فِي هَذِهِ الْمَرَّة تَحْجَجَتْ بِصَدَاعٍ مَّا أَثَارَ شَفَقَةً "إِيلِين" الَّتِي رَمَقَتْهَا بِنَظْرَةِ عَطْفٍ. حَاوَلَتْ "فُلُورَا" أَنْ تَصْفِ مُشَاعِرَهَا فِي دَفْنَرَهَا الْأَسْوَدِ الَّذِي تَأْخُذُهُ مَعَهَا دَائِمًا، إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ. كَثِيرٌ مِنْ المُشَاعِرِ تَنَدَّافِعُ فِي دَاخِلِهَا. أَغْلَقَتْ

وَضَعَتْ "فُلُورَا" أَعْمَالَ التَّطْبِيقِ جَانِبًا. قَادَتْهَا الطَّبَاخَةُ فِي الرَّدْهَةِ نَفْسَهَا الَّتِي سَبَقَ أَنْ سَلَكَتْهَا بِصَحَّبَةِ "چُوزِيف". وَلَكِنْ فِي ذَلِكَ الْيَوْم لَمْ تَكُنْ تَفْكِرُ فِي أَنْ صُورَةً "أُورُورَ" أَيْضًا مُوجَودَةٌ هُنَا بَيْنَ باقيِ صُورِ الْعَائِلَةِ.

قَالَتْ "فُلُورَا"، وَقَدْ تَمَلَّكَهَا الْخَوْفُ فَجَاءَ:

- لَكُنَ الْمِسْ فِي ذَلِكَ مُخَاطِرَةٌ أَنْ تَنَاهِيَنِي سَيِّدِي "الْكَوْنَتْ"؟ تَصُورَتْ غَضَبَهُ إِذَا فَاجَاهَهَا وَهُمَا تَنَاهِيَنِي لِصُورَةِ زَوْجِهِ الْمُتَوَفِّ.

قَالَتْ "إِيلِين":
- لَا تَخَافِي مِنْ شَيْءٍ. إِنَّهَا السَّاعَةُ الَّتِي يَسْتَرِيحُ فِيهَا سَيِّدِي "الْكَوْنَتْ" فِي حَجَرَتِهِ، هَذِهِ عَادَتِهِ مِنْذِ سَنَوَاتٍ. سَيَكُونُ أَمْرًا غَيْرَ طَبِيعِي أَنْ يَغْيِرْ هَذِهِ الْعَادَةِ الْيَوْم...
لَمْ تَكُنْ "فُلُورَا" مُطْمَئِنَةً تَامًا. مِنْذِ تِلْكَ الْلَّيْلَةِ لَا شَيْءٌ يَبْدُو مُسْتَحِيلًا.

فَتَسَرَّعَتْ "إِيلِين" إِلَيْهَا بِنَفْقَةٍ. هَذِهِ الشَّقَّةُ طَمَانَتْ "فُلُورَا" قَلِيلًا. الْآنَ هِي لَا تَفْكِرُ سَوْى فِي "لِقَائِهَا"، مَعَ "أُورُورَ".

كَانَتِ الصُّورَةُ تُشَبِّهُ الْمِيدَالِيَّةِ الْكَبِيرَةِ. فَكَرَ الرَّسَامُ فِي إِلَرَازِ جَمَالِ وَجْهِ "أُورُورَ" الْبَيْضَاوِيِّ بِرَسْمٍ إِطَارٍ يُشَبِّهُ الْمِيدَالِيَّةِ. بِذَلِكَ كَانَتِ الصُّورَةُ حَبِيسَةً إِطَارِيْنَ. بَدَتْ كَائِنَهَا تَتَنَفَّسُ حَتَّى ضَوءُ الشَّعْدُونِ الْمُرْتَعِشِ.

زَفَرَتْ "فُلُورَا" قَائِلَةً فِي نَفْسِهَا: "إِنَّهَا جَمِيلَةٌ"! لَقَدْ أَدْهَشَتْهَا عَيْنَاهَا الْمُحْسِرَوْانِ الْوَاسِعَتَانِ اللَّتَانِ تَفِيضَانُ بِحَنِينٍ حَزِينٍ. سَالَتْ "فُلُورَا" نَفْسَهَا إِذَا كَانَ الرَّسَامُ قَدْ رَسَمَ لَهَا هَذِهِ الصُّورَةَ وَهِي مَرِيَضَة؟

وَيَعْدُ ذَلِكَ شَعَرَتْ بِغَيْرِ شَدِيدَةٍ تَجَاهِهَا، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: أَنْفَهَا الدَّقِيقَ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي يَقْسِمُ وَجْهَهَا إِلَى جُزُءَيْنِ مُتَسَاوِيَيْنِ بِالْفَضِيلَةِ فِي تَنَاسُقِ جَمِيلٍ. ثُوَبَهَا الْأَبْيَضُ الَّذِي يَبْدُو مُتَنَاسِبًا مَعْهَا بِشَكْلِ رَائِعٍ. جَبَهَتْهَا الْأَرْسَتَرَاطِيَّةُ، وَالْحَزِينُ الرَّقِيقُ الَّذِي فِي عَيْنَيْهَا الْمُحْسِرَوْانِ اللَّتَيْنِ تَشَبَّهَانِ لَوْنَ الْبَحْرِ الشَّائِرِ أَثْنَاءِ الْعَاصِفَةِ.. كُلُّ شَيْءٍ. أَرَادَتْ أَنْ تَنْزَعَ الصُّورَةُ وَتَجْرِيْها بِأَظَافِرِهَا وَتَمْسِقَ عَلَى وَجْهَهَا. لَمْ تَشَعِرْ "فُلُورَا" قَبْلَ ذَلِكَ بِكُلِّ هَذِهِ الْكَراَهِيَّةِ بِدَخْلِهَا. وَهَا هِي الْيَوْم، أَمَامَ صُورَةً "أُورُورَ" تَخْلِمُ بَيْانَ تَكُونِ وَجْهَهَا لَوْجَهَهَا أَمَامَ هَذِهِ الْمَرَّة لِتَهْبِيْهَا وَتَضْرِبُهَا وَتَمْزِقُهَا بِدُونِ أَيْ سَبَبٍ. دَهَشَتْ "فُلُورَا" لِهَذِهِ الْمُشَاعِرِ الْبَغِيَّةِ، وَتَمَنَّتْ لَوْاً أَنْ "إِيلِين" لَمْ تَلَاحِظْ شَيْئًا. لَمْ

الدفتر دون أن تكتب شيئاً، لم تستطع أن تقرأ أيضاً. غلبها التعب وأطفأت الشمعدان وأرادت أن تنام. بحثت عن النعاس مفكرة فيما إذا كان الجو الكئيب الذي يسيطر على قصر "لويس هام" قد بدأ في الانطباع عليها.

الفصل الرابع

"جوزيف" الذي ظل متبعاً عن "فلورا" إذ لم يتبادر معها الحديث منذ مساء وصولها، بدا راغباً في محادثلها. في ذلك اليوم، انتظر حتى خرجة "إيلين" من المطبخ أولاً. بدون شك لقد شعرت "إيلين" بأن هناك شيئاً غير طبيعي؛ بما أنها خرجة ورمقت "فلورا" بنظرة ذات معنى. قالت:

- سأذهب إلى الصالون الأخضر، هناك الكثير من العبار الذي يجب أن أزيله، ومن الأفضل أن أبدأ على الفور.
أومات "فلورا" برأسها، إن تصور وجودها بمفردها مع "جوزيف" لا يسعدها. ولكن فور ذهاب "إيلين" أشار إليها "جوزيف" بالاقتراب وقال بصوت غامض:

- سيدتي "الكونت" يريد مقابلتك.
لمعت عيناه كأنه كشف عن سر:

- ساقودك بعد الظهر... بعد الغداء مباشرة.
واختفى قبل أن تجد "فلورا" الوقت لتسائله عن التفاصيل.
لم تكن "فلورا" قد رأت "چيمس دي لويس هام" منذ لقاءهما الأول، على الرغم من ذلك، لم يمر يوم دون أن تشير "إيلين" بأي شيء إلى "الكونت". لم تفوت "فلورا" أية كلمة عنه إذ كانت تتوق للتعرف كيف يعيش في هذه الوحدة الوحشة. فكرت "فلورا" في أنه يجب عليها مواجهة نظرته الباردة الزرقاء مرة أخرى.

عادت "إيلين" مجرد أن رأت "جوزيف" يذهب إلى القرية. لاحظت على الفور اضطراب "فلورا":

قالت "فلورا" وهي تمسك بيديها بعصبية:
- "الكونت" يريد رؤيتي بعد الظهر.
زفرت "إيلين" في ارتياح:
- حسن. أهذا كل شيء؟ عندما رأيتكم اعتقدت أنه أخبرك بكارثة.
لقد أخفيتني بالفعل.

أحاطت الفتاة الشابة بذراعها:

- لا يجب أن تكوني في هذه الحالة.. سيعطيك بعض التوجيهات بشأن "مايكيل"، هذا كل شيء.

أذعنت "فلورا". هذه المقابلة تخيفها، ولكن "إيلين" محققة في أنه لا يوجد أي مسبب للقلق. على الرغم من ذلك لم تستطع أن تسيطر على نفسها، ومواساة "إيلين" بدلاً من أن تهدئها زادت من غيظها. شعرت بأنها تتدخل في شأنها.

سمعت صوت "إيلين" كانها في حلم:

- لا تنسى أن تخبريه بأن "مايكيل" يتحسن إذا كان لا يعرف ذلك بعد. إن ذلك أثراً طيباً فيه.

لم ترد "فلورا" على الجملة. كانت تعرف أن "إيلين" محققة إلا أنها لم تشعر بأي رضا بذلك. كانت تود أن تتباهي بمفرداتها في أراضي "سومرسن" الشاسعة أو تمشي على شاطئ البحر، شعرت فجأة بأنها تختنق في قصر "لويس هام" شعرت كان أحداً يخطف حياتها.

عندما رفعت عينيها إلى "إيلين"، التي كانت قد نسيت وجودها، كانت عيناً "فلورا" حزينة. تأثرت "إيلين" بهذه النظرة الحزينة كثيراً. قالت:
- أنت تخيفيني يا آنسة "فلورا". أحياناً يكون لك نظرة سيدتي "الكونتيسة".

نهضت "فلورا" في عصف وعيناها السوداءان تلمعان.
قالت بصوت أحش:

- دعي هذه التشبيهات الحمقاء.
نظرت إليها "إيلين" في دهشة. إن "فلورا" لم تحدثها قط بهذه اللهجة.
أدركت أنها جرحتها بعمق، ولكنها كانت متاكدة أن "فلورا" منذ مجئها

إلى "لويس هام" وهي تحول شيئاً فشيئاً.

قالت "إيلين" ، وهي تفك في صرفها عن غضبها:

- لابد أن تذهب لروية "مايكل".

انهزمت "فلورا" المناسبة وقالت بصوت أصوات هدوءاً:

- نعم، أنت محققة. ساذهب لاري "مايكل".

حتى "مايكل" قد شعر بتغير "فلورا". كانت تسمعه شاردة، وهي تتذكر - غالباً - عبر النافذة لحشائش حديقة الشمال، اضطررت أن تعد مايكل بالخروج في الربيع وبالتنزه معها في مرات الحديقة.

أشار إليها "جوزيف" بالانتظار. ومن جديد رأته "فلورا" يفتح باب الردهة التي قدر لها أن تسلكها في حالة من الانفعال الشديد دون أن تردد، رأت "أورور" فاخترقها نظر عينيها الحزينة كالسكن. هذا العتاب الذي يبدو في عينيها، لا تستطيع أن تتحمله. أدارت وجهها وقررت أن تتجاهل صور عائلة "لويس هام" المنكوبة. نظرت إلى "جوزيف" الذي يتقدمها في بطء، وفي عظمة حبيس صمته المعتماد. في لحظة شعرت "فلورا" بأنه كالملاك الذي يقودها إلى عقوبتها. حاولت أن توجه تفكيرها إلى أشياء أخرى. حاولت أن تفك في تغيير وضع أثاث الحجرة الوردية أو بعض أدوات المطبخ.

كما في المرة الأولى فتح "جوزيف" باب المكتب وأعلن:

- الآنسة "فلورا لارك" هنا يا سيدي "الكونت".

واختفت... كان "چيمس دي لويس هام" حالساً خلف مكتبه. ممسكاً بخطاب في يده حين دعا "فلورا" للجلوس أمامه.

قالت بصوت تمنت لو كان ثابتاً:

- صباح الخير يا سيدي "الكونت".

- صباح الخير يا آنسة "فلورا لارك" كيف أنت؟

كان صوته مبتهجاً. شعرت بأنه يتحققها. حتى لا تفقد هدوءها نظرت إليه بلا مبالاة. كان يرتدي "حلة" قصيرة من القطيفة السوداء

وبنطلوناً رماديّاً. وكان يمسك بوشاح أزرق في تناسق مع عينيه.

استطردت في تواضع:

- إني بخير يا سيدي "الكونت".

خفضت بصرها.

- إذن هذا أمر طيب.

انتظرت "فلورا" أن يطلب منها "الكونت" أخباراً عن "مايكل" ولكنه يقى صامتاً، وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة. شعرت "فلورا" - عندئذ - بأنه يختبر صبرها، وأن عليها الصمت بقدر ما تستطيع. لم تجرؤ على طرح السؤال الذي يحرق شفتيها: "لماذا استدعاه؟"

أخيراً قال الكونت:

- غداً، أنا مضطر للتغيب في سفر لمدة عشرة أيام، إنها ليست رحلة إجازة. يجب تسوية مسألة ميراث ولن يحدث شيء مالم أكن في المكان. سمعت "فلورا" في دهشة، وهي تساءل نفسها لماذا يفضي لها باعماله الخاصة.

أضاف بصوت جاف:

- لا تعتقدني أنتي استقدمنتك إلى هنا لا لثرثرة معلمك. ارتعشت "فلورا".
كانه يخمن ما تفكير فيه.

زفرت "فلورا": "ها هو قد عاد" "چيمس دي لويس هام" كما تعرفته.

- خلال غيابي سيأتي إلى القصر ضيف، الدكتور "هنريش ثون ريتز" إنه ابن عمي سيأتي من المانيا خلال تلك الأيام. لا يوجد سواك يستطيع أن يستقبله، ويجعله ينتظر عودتي.

شعرت "فلورا" بأنه يشرفها بهذه المهمة. قالت:

- أنا...

- لا تعتقدني شيئاً، أؤكد لك أنتي لم أطلب منك ذلك وأنا سعيد، ولكن "جوزيف" مثل الدب، و"إيلين" ليس لديها ذرة عقل، لم يبق أمامي سواك.

ثم قال ساخراً:

- لا تصوري أنتي لا تستطيع أن أقدرك حق تقديرك، أتذكر جيداً أنت

توجه نحو الباب وفتحه دون أن يعيّرها اهتماماً. فكرت في "أنه يتّظر
أن أرحل. إنني بالنسبة له لست سوى أذن مصغية لا وامر".

بقيت جالسة. نفذ صبر "الكونت".

— لقد انتهينا من الحديث الآن.

نهضت "فلورا" بحركة كانها منومة مغناطيسياً. قالت:

— "مايكيل"....

فاطئها بصوت مخيف:

— توقفي. اخرجي، لا أريد أن أراك هنا مرة أخرى.

أطاعته "فلورا" بأكمله. هذا الصوت يصيّبها بالجمد، ولكن في قراره نفسها شيئاً ما حدثها بأن تصمد.

قالت في نفسها:

"على أي حال سيرحل. هذا أفضل. سابقى من أجل "مايكيل" وعند عودته متى. اقتنعت "فلورا" بذلك، وخرجت من الحجرة دون أن تنظر إلى الكونت. اكتفت بأن مرت أمامه في ثقة. ندمت فقط على أنها لم تستطع أن تقرأ ما يفكّر فيه.

لم تحاول "فلورا" أن تجلس مع "إيلين" منذ هذه الجامدة التّعسّمة التي صدرت منها ببراءة. الشيء الوحيد الذي كان يربطها بالقصر كان هو "مايكيل". الذي أخذت صحته تتحسن يوماً بعد يوم مما دفع "فلورا" إلى التّساؤل: هل كان مرضه راجعاً - ببساطة - لشعوره بعدم الاهتمام من ناحية والده؟ لقد توقف السعال تماماً!

شيء آخر شغل "فلورا" منذ تلك الليلة: لم تعد تسمع أية أصوات توظّفها. سالت نفسها: "ماذا أرادت "أورور" (إذا كانت هي حقاً) أن تظهر لها نفسها؟ ولماذا - منذ تلك المدة - لم تعد تظهر، هل رأت أن رسالتها مفهومه بالقدر الكافي؟ أم أن "الكونت" كان يبحث عن شيء في غرفة "أورور"؟، ولكن لماذا في قلب الليل؟ ولماذا بهذا العنف؟ كانت "فلورا" حائرة.

لست سوى مريضة فقيرة. لكن لا يهم فلن يعاني ابن عمي "هنريش" سوى بضعة أيام.

لم تواجهه "فلورا" قط مثل هذه الإهانة. غاصت بعينيها اللامعتين بالغضب في عيني "جيمس".

صاحت:

— أنا لا أسمح لك! الأب الذي لا يهتم بيته. ليس لديه الحق في الحكم على أي من كان.

نظرت إليه في تحدٍ. شبح وجه "الكونت".

— كيف تمرين على قول ذلك؟

اعتقدت "فلورا" أنه سيحضرها، بينما شعرت بأنها قد هدأت عندما أطلقت الكلمات التي كانت تشقّلها. حتى أنها شعرت بسعادة عندما رأت "الكونت" يقاوم الغضب الذي أشعلته فيه. فكرت - بربّا - في أنه لأول مرة قد نالت من "جيمس" دليلاً هاماً.

نهض "جيمس" وأخذ يروح ويجيء في الحجرة.

— يجب أن أطلب منك الرحيل بعد ما تفوّهت به.

— يجب أن أرحل بعد ما قلته أنت.

كانت لهجتها حازمة. بدا "الكونت" متأثراً بهدوء "فلورا".

— أنت لا تعرفين شيئاً عن موقفي وتقهّمي... .

استطرد في ثورة:

— هنا أحاوّل الاعتذار أمامك. أنت تقصدبني السيطرة.

ساد صمت طويلاً.. سالت "فلورا" نفسها إذا كان من الصواب أن تبقى؟ لقد أهانها "الكونت" بلا رحمة، ومادامت في قصر "لويس هام" ستبقى تحت سيطرته. كم كانت تمني أن ترى في هاتين العينين الزرقاويين للسلطتين عليها - ولو للحظة واحدة - نظرة حانية.

أيقظها "الكونت" من شرودها:

— إذن سترستقبلين الدكتور "هنريش فون ريتز"، هذا كل ما أردت أن أخبرك.

حديثها مع "إيلين" لم يرضها تماماً، لقد شعرت بأن هناك شيئاً آخر وراء كتمان "إيلين". إنه شيء لا تريده أن تكشف عنه. في الواقع إن الحياة في قصر "لويس هام" لا تخلو من الالغاز.

سالت:

- من إذن؟

بقي سؤالها بدون إجابة. فكرت "فلورا" في "أورور" التي قد تكون واقفة في مكان ما بالقرب منها. هذا لا يعني له؛ لا وجود للأشباح.

قالت "إيلين" بعد صمت طويل:

- هناك أحداث تبقى دائمة بدون تفسير.

كان "الكونت" قد رحل. أعلن "جوزيف" ذلك للسيدتين بعد الغداء كأنه يخبرهما بسر عظيم. شعرت "فلورا" فجأة بالراحة. بدا لها ذلك الشعور غريباً. إذ إن في وجود "الكونت" أو غيابه فهي لا تراه، هذا لا يغير من الأمر شيئاً. يجب التصديق بأن رحيله له تأثير في باقي سكان "لويس هام". كانت "إيلين" تدندن، وـ"مايكيل" يسیر في غرفته بدون تعب. أصبح الجو أقل توتراً.

في ذلك اليوم كانت الشمس تشيع بهجة في المديقة. أذاعت "فلورا" لرجاء "مايكيل"؛ ووافقت على أن تصحبه في نزهة قصيرة. أسرعت "إيلين" لتنقل "مايكيل" ورفع "جوزيف" كتفيه، وهو يراهما يمضيان. هذه التفاصيل لا تهمه، الحدث المهم الوحيد الذي ينتظره هو عودة سيده. قررت "فلورا" أن تقوم بجولة في القصر مع "مايكيل".

وصلت إلى الواجهة الخلفية للقصر، شعرت بشيء يجذبها إلى الحشائش العالية. تذكرت الوعد الذي قطعته على نفسها أمام "الكونت" في أول لقاء لهما. لكن رجلاً مثله يفتقد الذوق، هل يستحق أن تحفظ وعدها له؟

قالت "فلورا" في نفسها: لا، لا بالتأكيد.

لكنها لم تستطع أن تقرر. نظرت إلى "مايكيل" الذي بدأ سعادته بالهواء والشمس.

سالت "إيلين" إذا كان من الممكن زيارة غرفة "الكونتيسة". أبدت "إيلين" دهشتها. سالت جاهظة العينين:

- لكن لماذا إذن؟

أجبت "فلورا":

- لأرى إذا كان كل شيء في مكانه. سأعرف على الأقل إذا كنت أحلم، لا يمكن أن يكون كل شيء في موضعه بعد كل هذه الضوضاء التي سمعتها.

قالت "إيلين":

- إن غرفة سيدتي "الكونتيسة" مغلقة دائمًا. وليس معها مفتاحها. صاحت "فلورا":

- هذا غير معقول. ومن معه المفتاح إذن؟

ترددت قبيل أن تجيب:

- سيدتي "الكونت" بالتأكيد...

- ومن؟

زفرت "إيلين":

- وـ"جوزيف" .

ردت "فلورا" في دهشة:

- "جوزيف"! هل تعتقدون أن...

هزت "إيلين" رأسها:

- ليس لدى "جوزيف" فكرة إلا طاعة سيدتي "الكونت".

- وإذا كان سيدتي "الكونت" هو الذي طلب منه ذلك.

رفعت كتفيها، بدا لها هذا الأمر غير محتمل.

- سيدتي "الكونت" لا يحب أن يتدخل أحد في شؤونه الخاصة. لو كان كذلك لفعل بنفسه، ولم يطلب من أحد آخر حتى "جوزيف".

قالت "فلورا" مستنكرة:

- كان إذن "الكونت" موجوداً في هذه الغرفة في تلك الليلة.

- ولماذا في قلب الليل؟

لم تعرف "فلورا" بما تجيب. بما أنها سالت نفسها نفس السؤال... إن

سأله في براءة:
ـ "مايكيل" ، الا ترى أنها خسارة كبيرة أن يترك جزء من الخديقة
مهجورا؟

لم يجب "مايكيل" ، وبعد صمت قال:
ـ نعم، بدون شك.

حاولت "فلورا" من جديد:
ـ لا تذكر الأيام التي لم تكن موجودة فيها هذه الحشائش الطويلة؟
قال:

ـ أعتقد أن أمي كانت تتنزه في هذا المكان كثيرا. به جناح للموسيقى
حيث كانت تحب أن تذهب إليه؛ لتعرف قليلا على البيانو.
اهتمت "فلورا" بحديث الصبي، وتمت أن يستمر. إن جناح الموسيقى
أيضا يثير اهتمامها أكثر من الحشائش التي تعطيه.

حاولت "فلورا" من جديد:
ـ لكن لا بد أن هذا الجناح قد أهمل تماماً وسط هذه الحشائش العالية. لا
يستطيع أحد أن يدخل إلى هناك...
أضافت في جرأة:
ـ يجب المحاولة.

قال الصبي بحكمة:

ـ دعى الأحجار نائمة. لماذا يهمكم هذا الجناح إذن؟
صممت "فلورا" ، ربما تكون قد أيقظت لدى الصبي ذكريات مؤلمة.
لامت نفسها لأنها ذكرته بشكل غير مباشر بموت والدته.

فكرت: "ها هي مرة أخرى. حينما أذهب تظهر".
في هذه اللحظة لم تكن لتدشن إذا رأتها تظهر أمامها.

سالها "مايكيل" فجأة:
ـ هنا لنذهب إلى البركة.
اعتربت "فلورا":

ـ إنها بعيدة جدا. في المرة الأولى التي تخرج فيها لا يجب أن أعرضك
للتعب.

ـ لكنني أريد أن أرى البركة! لم أرها منذ زمن بعيد.
ـ لم تستطع "فلورا" - متأثرة - أن ترفض.
ـ همس "مايكيل" في عرفان:
ـ إني مدین للك بكل ذلك.

تأثرت "فلورا". كانت أشعة الشمس تتعكس على وسط البركة متلاطحة
على الماء. تأملت "فلورا" و "مايكيل" مئات الانعكاسات الصغيرة. كانت
هناك بجمعة تعود في شموخ.

جلس "مايكيل" على شاطئ الماء، بقيا صامتين خلال فترة طويلة. شعرت
ـ "فلورا" بالارتياح كان الماء يطرد عنها كل الأفكار التي تزعجها. رأت هذه
حنان صورتها منعكسة على صفحة الماء مسكة بيد "مايكيل". كانت هذه
هي اللحظة الوحيدة التي شعرت فيها بالسعادة منذ وصولها إلى قصر
ـ "لويس هام".

عند عودتها كانت كل الأفكار السيئة التي طردها عند شاطئ البحيرة
قد عادتها بشكل أكبر في فوضى كبيرة، كانها ت يريد أن تعيش الروح
الذي ضاع منها. عندما أصبحت بمفردها في حجرتها أرادت "فلورا" أن
ترقب تلك الأفكار كتبت:

ـ أشعر كأنهم يخونون عني شيئاً: "جوزيف" يتصرف كأن "الكونت"
طلب منه أن يراقبني. لا أعتقد أنني بعيدة عن الحقيقة. تبدو "إيلين" دائماً
موشكة أن تكشف لي عن شيء، ولكنها تتردد وتتراجع في آخر لحظة. هذا
حدث عندما حدثتني عن موت "أورورا" ، ثم منذ يومين عندما علمت أن
حجرة "الكونتيسة" مغلقة بالفاتح، وأنها لم تخبرني بذلك عندما حكت
لها عن الأصوات، "مايكيل" نفسه فعل نفس الشيء عندما حدثته عن جناح
الموسيقى. سؤاله يعني أنه لا يريد أن يفتح هذا الموضوع. لماذا؟

ـ هل هذا بسبب موت والدته فقط؟ على أية حال هذا ممكن. شيء آخر
يدهشني أيضاً. "مايكيل" لا يتحدث أبداً عن أبيه و "الكونت" يثور غضبه
عند الإشارة إلى ابنه. لماذا؟

ـ كلما مر الوقت شعرت بأنني غريبة عن قصر "لويس هام". السكان
منغلقون على أنفسهم كلما حاولت الاقتراب، هذا التواطؤ الكثيف يحيلك

في خيال سحري، ولا يظهر منه سوى برج واحد يخترق الضباب (لقد اختفى البرج الآخر في كثافة السحب) وغرقت الحديقة في الغيموم. لم يظهر منها سوى بعض الأشجار العالية: تارة تظهر جذوعها وتارة قممها، حسب قوة الريح. في الجانب الآخر كانت السماء أكثر صفاء، وتعلقت بعض السحب بين السماء والأرض. اتبهرت "فلورا" بهذا المشهد بدا القصر كانه جزء من قصة خيالية مرعبة.

شيئاً فشيئاً تسللت إلى ذهن "فلورا" صورة "أورور". اعتتقدت أنها تراها من الياب الكبير. كانها تنتظر، مبتسمة أدارت "فلورا" رأسها. كان المطر قد توقف فتقدمت بعض الخطوات لتدور حول القصر. كانت الواجهة الخلفية غارقة في الضباب الكثيف.

ظهرت فقط بعض الحشائش بشكل مخيف. زفرت "فلورا" بعمق. إنها ليست نادمة على مناظر "كنت" المبهمة. هناك قوة تربطها بهذا المكان الذي يشعرها بتواصل عميق مع أحجاره القديمة قدم ثلاثة قرون. سيأتي اليوم الذي تخترق فيه لغزها.



كان "هيريش فون ريتز" رجلاً بشياً. لم تستطع "فلورا" أن تمنع نفسها من المقارنة بينه وبين "جيمس دي لويس هام". على الرغم من امتلاء جسم "هيريش" إلا أن مشيته كانت رشيدة وهادئة وسرعان ما شبهته "فلورا" بالنصر؛ في نظرته قوة وتهديد وظل من قسوة آل "لويس هام".

بمجرد وصول "هيريش" دهش لغياب ابن عمه. شرحت له "فلورا" سبب رحيله المفاجئ؛ بدا "هيريش" مكتنعاً. في هذه اللحظة، قاده "جوزيف" إلى الحجرة التي خصصها له "الكونت".

كانت توجد في الجنان الشرقي من القصر؛ لذا فكرت "فلورا" في أن "الكونت" يحرض على الاحتفاظ بالجزء الغربي من القصر. إنه لا يسمح باي تدخل فيه.

عندما اختفى "هيريش" و"جوزيف"، شعرت "فلورا" من جديد بهذا

بينهم روابط غامضة وغريبة. أنها مبعدة عنها تماماً. لماذا يطلعوني - إذن - على وجود هذه الروابط؟ هل هي قسوة منهم؟ على أي حال لقد رأيت في "جوزيف" و"إيلين" و"مايكيل" الصمت نفسه. أما "جيمس لويس هام" فهو صامت تماماً مثل الآخرين. بدون شك أنه يحتفظ بفتح صمته.

توقفت "فلورا" لنقرأ ما كتبته. عندما رأت الكلمات التي خطتها أدركت بصورة أفضل هذا الإحساس المؤلم بالغرابة الذي تشعر به في هذا "الديكور" ، هذا الشعور الذي لا يكفي عنها في "لويس هام". فهمت بشكل أفضل إصرارها على البقاء في القصر على الرغم من كل شيء. هناك غموض يجب تفسيره، وكلما صمدت اقتربت من حل اللغز.

- "أورور" ... صورتها تخيفني ... إنها جميلة. لماذا لا استطيع أن أحتمل ذلك؟ لا، ليس هذا ما يخيفني. إن نظرتها الحزينة عندما أراها أشعر كاني أسقط في بصر بدون قاع. لا أريد أن أشبهها... "إيلين" لا تعرف ماذا تقول ... تسكتني. لا بد أن أطركها من ضميري. من هي في الواقع؟ أنا لا أعرف عنها شيئاً. هل مازالت حقاً تسكن قصر "لويس هام". ارتعشت "فلورا" عندما قرأت هذه السطور كانت يفربدها في غرفتها، كان الليل قد أسدل ستائره منذ وقت طویل وأخفى الظلام الحديقة. انصت - رغم أنها - لتسمع أي صوت يشبه تلك الأصوات التي سمعتها الليلة الماضية. أغلقت الدفتر الذي تكتب فيه، ورأت أنه من الأفضل أن تدون أفكارها في الصباح فضلاً عن الليل.

بقي أسبوع على عودة "الكونت". وكانت "فلورا" ترى هذا التاريخ هو المدلبحتها. من هنا حتى عودة "الكونت" ستعرف ماذا يخفون، وسيكشف لها القصر عن سره. ربما يحمل إليها الدكتور "هيريش فون ريتز" عنصراللإجابة

الفصل الخامس

ذات مساء سادته الغيموم.
 أرادت "فلورا" أن تخرج على الرغم من الأمطار. بدا القصر كأنه غارق

- لا.
- من يدرى ربما تكونين مخطئة...
استطرد:
- نحن بعيدان، إن "إيلين" غبية لوضعها الأطباق على هذا التحو نهض "هنريش" ونقل الأطباق الخرفية الزرقاء والأكواب والشمعدان. بقيت "فلورا" ساكتة كأنها متسمرة في مكانها متنمية أن تحدث كارثة تمنع أن يستمر العشاء بشكل طبيعي. نظرت نحو النافذة الكبيرة من خلال غرفة الطعام. كان الجو مازال مغيمًا. زفت "فلورا": "هذا المساء لن تضرب الصاعقة قصر "لويس هام" لتدميره. يجب أن يستمر العشاء حتى آخره".
- هكذا سيكون أفضل. أريد أن أرى وجهك الجميل.
أفاق صوت "هنريش" "فلورا" من شرودها. نهضت لتجلس في مواجهة ذلك الرجل الذي بدأت تكرره حقاً. إن ابتهاجه بدا لها غير محتمل تماماً مثل طبيعة "چيمس دي لويس هام" الكيفية.
استطرد "هنريش":
- لقد تركني "چيمس" في صحبة جميلة. لابد أن أتعرف لك بانتي غير آسف على غيابه.
فكرت "فلورا" في حزن: "كم تأسف هي لغيابه!"
بدأت تأكل ناظرة إلى طبقها الخزفي الأزرق. في الواقع لم يكن لديها أي شهية؛ إذ إن "هنريش" ينظر إليها.
قال:
- تبدين حزينة. هل هناك شيء ما يشغلك؟
لعنت "فلورا" اهتمامه بها. أجابت:
- لا، أشكرك، إني بخير.
تعبير وجهها كذب كلماتها كذلك لم يصدقها "هنريش" لحظة واحدة:
- ألا يبهجك منظر هذا العشاء الرائع؟
كادت "فلورا" تنفجر في البكاء. حاولت أن تسيطر على نفسها.
- لست جائعة. لا تهتم بشاني أرجوك.
- لكن على العكس نحن هنا لنتعارف.

الشعور السخيف بأن "چوزيف" يراقبها. لم تعجبها فكرة أن يعرف ما تجهله. إذا كان "چيمس دي لويس هام" قد صرخ له بالغرفة التي يرغب أن يسكن فيها ابن عمه، فلماذا لا يكونان قد اتفقا على خطط أخرى؟ تذكرت "فلورا" الابتسامة الشريرة التي ارتسمت على شفتي "چيمس"، ورضاءه عن "چوزيف".

أخرجت "إيلين" الأواني التي تخرجها في الحفلات الكبرى وهمست في أذن "فلورا": (إن هذه الأواني لم تستعمل منذ وقت طويل، منذ موته "أورور")، هذا ما ترجمته عقل "فلورا". وضع الأطباق على المائدة الابنوسية. جلس "هنريش" أولاً، وجلست "فلورا" في خجل. الأطباق الصينية والشمعدان الفضي يسببان لها الارتباك. شعرت بالعرق على يديها لأن في مواجهتها ابن عم "چيمس دي لويس هام" الذي ينظر إليها مبتسمًا. يجب أن تتعشى معه، يجب أن تضيقه. ودت "فلورا" لو تختفي في ضباب الحديقة. تخيلت أن "أورور" تضحك من ارتكابها. اهتمت "إيلين" بتقديم خدماتها غير مبالية باضطرابها، أما "چوزيف" فقد بقي في المطبخ وبدأ عشاءه.

قال "هنريش" في سرور:
- حسن، نحن بمفردنا على ما يبدو. ما رأيك في ذلك يا آنسة "لارك"؟
أجابت "فلورا":
- سيعود سيدي "الكونت" خلال بضعة أيام.

أخذ "هنريش" يضحك.
- بالتأكيد سيعود! هل تخافين مني؟
- لماذا أخاف منك؟
بدا "هنريش" ممتاً بالإجابة.
- لست أدرى، إني أراك من بعيد، ولكنني الاحظ اضطرابك.

لا، بل على الأخرى فزعك. كانك عصفورة سيمسك بها. هل تظنين أنني صياد؟

لم يعجب "فلورا" المجرى الذي يأخذة الحديث.
أجابت ببساطة:

أراد "هنريش" أن يصب مشروبًا لـ"فلورا" لكنها رفضت.

ترددت هل تسحب متعللة بالصداع لتلوذ بغرفتها؟

إن وعدها لـ"الكونت" فقط هو الذي جعلها تبكي. في الوقت نفسه شعرت بأنها حمقاء لاحترامها الوعد الذي قطعه مع "چيمس" على الرغم من معاملته السيئة لها. تصايق "هنريش" وحاول جذب انتباه "فلورا".

- هل أتيت إلى هنا منذ زمن طويل؟

أجابت:

- أعتقد منذ ثلاثة أسابيع.

استطرد بعد صمت طويل:

- "چون"؟

رددت:

- "چون"؟

- نعم، "چون" دي لويس هام.

احتارت "فلورا":

- "چون" دي لويس هام؟

- أخو "چيمس"!

جحظت عيناً "فلورا".

- "چيمس" دي لويس هام لديه أخي، لكن...، أين يعيش؟

شعرت بأن المكان يدور بها وبدوره بدا "هنريش" دهشاً.

- تقصدين أنك... لا تعرفين "چون"؟

أومات بالنفي.

- ألم تريه قط منذ ثلاثة أسابيع، وأنت في قصر "لويس هام"؟ لكنه يعيش هنا!

فكر "هنريش" لحظة. ثم استطرد:

- على آية حال. عندما جئت منذ سنتين. كان هنا، وكان "چيمس"

سيخبرني برحيله إذا كان قد رحل من "لويس هام".

نظر كل من "فلورا" و "هنريش" إلى بعضهما في دهشة، وكلاهما محظى للخبر الذي عرفه.

حضرت "إيلين" طبق الفاكهة.
قال "هنريش" فجأة:

- "إيلين"، أين "چون"؟

توقفت "إيلين" غضب شديد. في خفة رأت "فلورا" على وجهه صامتة. تملّك "هنريش" غضب شديد. في خفة رأت "فلورا" على وجهه علامات الغضب. الآن هو يشبه بشكل مثير للدهشة "چيمس" دي لويس هام.

- لقد طرحت عليك سؤالاً كما يبدو. أين "چون"؟
كادت تسقط مغشياً عليها. لاحظت "فلورا" ذلك فاتجهت نحوها.
جلستها على أحد المقاعد. تقدم "هنريش" نحو "إيلين" وقد نفذ صبره وبدأ يهزها.

- هل تجيدين؟

تدخلت "فلورا":

- توقف! الا ترى أنها صدمت؟ دعها تستعيد وعيها.

- عاد "هنريش" للجلوس عابساً.

استطرد:

- حسن، أين "چون"؟

أجابت "إيلين" بمشقة:

- "چون" يعيش في الحديقة في جناح الموسيقى.

جاء دور "فلورا" للتعجب:

- في جناح الموسيقى؟! وسط الحشائش العالية؟!

أومات "إيلين" برأسها. هذا إذن سبب تحذير "الكونت"! سالت "فلورا"

نفسها: لماذا لا ينطق باسم "چون" في قصر "لويس هام"؟

لماذا تبدو "إيلين" مذعورة تماماً لفكرة أن تتحدث عنه؟ ولماذا يختفي "چون" دي لويس هام في حشائش الحديقة بينما هذا القصر الشاسع شبه

حال؟

صمت ثلاثة محاولين ترتيب أفكارهم.

في صباح اليوم التالي وجدت "فلورا" إيلين باكية في المطبخ.
قالت في صوت متقطع:

- كنت أعرف أن ذلك سيحدث.

تحدث إليها "فلورا" في هدوء.

- ماذا يحدث؟

- "جوزيف" ... إنه لا يفهم.

حاولت "فلورا" أن تعرف سبب انفعال الطباخة دون أن تتوصل لذلك.
كل سؤال يصطدم بتعجب أو بكلمات غير مفهومة يقطعها بكاؤها.
أعدت لها قدح شاي تجرعته "إيلين" جرعة واحدة.

قالت:

- أشكرك. أشعر بأنني أفضل.

ردت "فلورا" سؤالها:

- أخبريني ماذا يحدث الآن؟

استطردت "إيلين" بصوت أكثر ثقة:

- "جوزيف" لا يفهم لماذا تحدثت إلى دكتور "فون ريتز" عن السيد
"چون دي لويس هام" ، مساء أمس نار ثورة عارمة.
تصورت "فلورا" "جوزيف" ثائراً ورأيت أنه لابد أن يكون مخيفاً.

سألت:

- لكن لماذا؟

بدأت "إيلين" قصة "چون دي لويس هام":

- "چون دي لويس هام" هو الاخ التوأم لسيدي "الكونت" ، في طفولتهما كانوا متفاهمين تماماً وكانا لا ينفصلان، لكن شيئاً فشيئاً دب بينهما تنافس شديد. في البداية كان بسبب اللعب التي يفسدها أحدهما للآخر والفضيقات الصغيرة المعتادة التي لا تغيرها الأسرة أى اهتمام. ثم أصبحت دوافع العراق أكشن خطورة حتى اليوم الذي قرر فيه "چيمس" الزواج بـ "أورور". شعر "چون دي لويس هام" بأنه أبعد تماماً وظل يعاني ذلك. على الرغم من ذلك ظل يسكن القصر. شيئاً فشيئاً تحسنت العلاقة بين الأخوين، كان للـ "كونتيسة" "أورور" أثر كبير في ذلك. أثناء مرض

"الكونتيسة" كانا يجلسان إلى جوارها ويتقاسمان مأساتها.

تنحنحت "إيلين" واستطردت:

- ولكن يوم وفاة السيدة تباعد الأخوان. أثناء الجنائزه كان كل منهما في ناحية ولم يتبدل الحديث مرة واحدة. أعتقد أنه قد وقع بينهما شجار عنيف. ومنذ ذلك الوقت لا يرى "الكونت" أن يسمع اسم أخيه. بالنسبة له قد مات "چون دي لويس هام" ولم يعد له وجود.

- وهل يأتي "چون دي لويس هام" هنا أحياناً؟

وأشارت "إيلين" بالتفتي.

- منذ ستين وهو يعيش في جناح الموسيقى الذي كانت تحب أن تذهب إليه "الكونتيسة أورور". ولقد ترك الحشائش عن قصد تنمو لتشجع الدخول إلى هذا الجزء. ولقد أعطى "الكونت" أوامره للبستانى بالا يهتم بهذا الجزء من الحديقة.

لكن.. كيف يعيش؟ ومم يعيش؟

- أعتقد أن "الكونت" سمع لـ "جوزيف" أن يحمل إليه الطعام من وقت آخر. لكن "جوزيف" لا يحدثني أبداً عن زياراته له. أنت تعرفي طبيعته.

استطردت:

- بالأمس هددني بأنه سيخبر سيدي الكونت بأنني تحدثت عن السيد "چون".

عادت إلى البكاء.

ماذا كنت أستطيع أن أفعل غير ذلك؟

حاولت "فلورا" أن تواصيها:

- لكن ألم يكن يعرف دكتور "هريش" أن "الكونت" وأخاه على خلاف شديد؟ ألم يكن هنا يوم جنازة "أورور"؟

غضت "فلورا" شفتها. لقد نطق باسمها بدون القاب فـ "أورور".

أصبحت الآن جزءاً من عالمها الخاص. ولكن كانت "إيلين" مشغولة تماماً

بتهدید "جوزيف" فلم تظهر شيئاً.

أجابت:

قال "هنريش" في لهجته المبتوجة المعتادة:
 -إذن يا آنسة "فلورا" هل هدأت من انفعالك؟
 لم تجرب "فلورا". وواصل "هنريش" حديثه:
 -أعتقد أن "چيمس" و "چون دى لويس هام" قد تأثر كلاهما بموت
 "أورور"، ولكن كلا منهما على طريقته.
 فكرت "فلورا": دائمًا "أورور" لا يستطيعون أن يتركوها وشأنها؟
 -لم يلاحظ "هنريش" غريب "فلورا" واستطرد:
 -لم يستطع كل منهما رؤية انعكاس حزنه على وجه الآخر.
 -أعتقد أن هذا الاستنتاج منطقي لتفسير الوضع.
 بدا "هنريش" كأنه يحدث نفسه. سالت "فلورا" نفسها إذا كان متتبها
 إلى وجودها.
 استطرد "هنريش" مفكراً:
 -ما يشير دهشتني أن "چيمس" لم يحدثنـي عن شيء في خطاباته.
 كنت أعتقد أن "چون" لا يزال يعيش في القصر، هذا صحيح، إن
 "چيمس" لم يكن يحدثنـي فقط عن أخيه.
 لم تستطع "فلورا" وهي تستمع إلى "هنريش" أن تمنع نفسها من تذكر
 أول لقاء لها مع "چيمس" والتحذير الذي اشترطه عليها ولم تفهمـه. ربما
 لم تكن عصبيـتها سوى ستار يخفـي الله.
 سالـها "هنريش" ملتفـتاً إلـيـها:
 -وأنت ألم ترىـه قـط؟
 أجابـت "فلورا" من جـديـد بالـنـفيـ.
 -إذن فهو لا يأتي هنا أبداً، أو ربما في اللـيلـ.
 فـكرـت "فلورـا" فـجـاءـ في تلك اللـيـلـةـ عـندـمـاـ سـمعـتـ أـصـواتـ أـيـقـظـتـهاـ. ماـذاـ
 لـوـ كانـ "چـونـ" هوـ الـذـيـ عـادـ إـلـيـ حـجـرـةـ "الـكـوـنـتـيـسـةـ"ـ ليـبـحـثـ عـنـ شـيـءـ
 يـخـصـهـاـ لـيـاخـذـهـ مـعـهـ إـلـيـ الـحـدـيقـةـ،ـ هـبـطـ بـعـدـ ذـلـكـ السـلـمـ الـكـبـيرـ مـسـرـعاـ
 حـتـىـ لـاـ يـرـاهـ "چـوزـيـفـ"ـ أوـ "الـكـوـنـتـ"ـ ثـمـ اـخـتـفـىـ فـيـ الـحـشـائـشـ الـطـوـولـيـةـ؟ـ
 كـلـمـاـ فـكـرـتـ "فلورـاـ"ـ توـصلـتـ إـلـيـ أـنـ ذـلـكـ هوـ أـقـرـبـ تـفـسـيرـ لـلـحـدـثـ الـذـيـ
 أـرـعـبـهـاـ فـيـ تـلـكـ اللـيـلـةـ،ـ مـرـةـ وـاحـدـةـ أـحـسـتـ "فلورـاـ"ـ أـنـهـاـ تـخلـصـتـ مـنـ وـجـودـ

-في ذلك اليوم كان الدكتور هنا. لكنه بدون شك أرجع البرود الذي
 ساد بينهما إلى حزنهم الشديد. (شعرت "فلورا" بالغrief عند سماعها
 هذه الكلمة فهي تشـكـ أنـ يـشـعـرـ "الـكـوـنـتـ"ـ بمـثـلـ هـذـهـ المشـاعـرـ)،ـ لمـ يـكـنـ
 أحد ليتخـيلـ قـطـيـعةـ كـامـلـةـ بـيـنـ الـآخـرـينـ.

شـعـرـتـ "فلورـاـ"ـ بـالـاضـطـرـابـ لـفـكـرـةـ أـنـ هـنـاكـ شـخـصـاـ مـاـ شـبـهـهـاـ بـالـكـوـنـتـ
 "جيـمسـ دـىـ لوـيـسـ هـامـ"ـ يـعـيـشـ فـيـ عـرـلـةـ أـكـثـرـ وـحـشـةـ مـنـ "الـكـوـنـتـ"ـ نـفـسـهـ.
 وـدـتـ لـوـ تـرـاهـ حـتـىـ فـيـ مـلـامـحـ وـجـهـ "جيـمسـ دـىـ لوـيـسـ هـامـ".

استـعـادـتـ "فلورـاـ"ـ قـراءـةـ مـلـاحـظـاتـهـاـ الـتـيـ دـوـنـتـهـاـ فـيـ الـأـيـامـ الـمـاضـيـةـ،ـ هـنـاكـ
 نـفـسـهـاـ عـلـىـ وـضـوـخـهـاـ.ـ كـانـ هـنـاكـ عـنـصـرـ يـنـقـصـهـاـ الـكـيـ تـفـهـمـ سـكـانـ قـصـرـ
 "لوـيـسـ هـامـ".ـ هـذـاـ عـنـصـرـ كـانـ شـدـيدـ التـعـقـيـدـ بـمـاـ أـنـهـ يـتـعـلـقـ بـرـجـلـ.ـ هـكـذـاـ
 حـتـىـ لـوـ اـعـتـيـرـ "چـونـ دـىـ لوـيـسـ هـامـ"ـ مـيـتاـ،ـ حـتـىـ لـوـ أـرـادـ أـخـوـهـ أـنـ يـجـهـلـ كـلـ
 شـيـءـ عـنـهـ.ـ لـاـبـدـ أـنـ "جيـمسـ"ـ يـشـعـذـبـ كـثـيرـاـ كـلـمـاـ فـكـرـ فـيـ "چـونـ"ـ أـخـيـهـ.
 الـآنـ رـيـطـتـ "فلورـاـ"ـ بـيـنـ تـقـلـيـاتـ مـزـاجـ "جيـمسـ"ـ وـذـكـرـيـاتـ الـمـوـلـةـ الـقـسـرـةـ
 بـحـيـاةـ أـخـيـهـ.ـ وـلـكـنـ يـقـيـ العـدـيدـ مـنـ الـأـسـقـلـةـ بـدـوـنـ إـجـابـةـ.ـ مـاـ الـذـيـ يـعـرـفـهـ
 "ماـيـكلـ"ـ بـالـضـيـطـ؟ـ بـدـاـلـ "فلورـاـ"ـ أـنـ الدـكـتـورـ "هنـريـشـ"ـ نـسـيـ تـامـاـ وـجـودـ
 "ماـيـكلـ"ـ.ـ إـنـهـ لـمـ يـبـدـ رـغـبـتـهـ فـيـ رـوـيـتـهـ.ـ زـفـرـتـ "فلورـاـ"ـ إـنـهـاـ مـاـزـالـتـ بـعـيـدةـ
 عـنـ فـهـمـ طـبـيـعـةـ الدـوـافـعـ الـتـيـ تـحـركـ فـكـرـ وـعـاطـفـةـ آلـ "لوـيـسـ هـامـ".

فـكـرـتـ:ـ مـاـذـاـ أـحـرـصـ عـلـىـ كـشـفـ سـرـهـمـ؟ـ تـصـورـ هـبـيـثـةـ "جيـمسـ دـىـ
 لوـيـسـ هـامـ"ـ أـمـاـهـاـ فـيـ الـحـجـرـ الـوـرـدـيـةـ.ـ مـتـىـ سـيـعـودـ؟ـ فـكـرـتـ فـيـ بـشـيـءـ مـنـ
 الـحـنـينـ.ـ الـآنـ وـقـدـ عـرـفـتـ مـاـ يـعـذـبـهـ فـقـدـ شـعـرـتـ بـاـنـهـ أـكـثـرـ قـرـيـباـ مـنـهـ،ـ وـأـكـثـرـ
 قـدـرـةـ عـلـىـ فـهـمـهـ وـمـسـاعـدـتـهـ.

حـاـولـتـ "فلورـاـ"ـ أـنـ تـطـرـدـ هـذـهـ الـأـفـكـارـ الـمـضـحـكـةـ.ـ هـاـ هـيـ "الـمـرـبـيـةـ"ـ تـفـكـرـ
 فـيـ إـمـكـانـ مـسـاعـدـةـ "الـكـوـنـتـ"ـ!ـ هـاـ هـيـ تـنـتـظـرـ عـودـتـهـ بـفـارـغـ الصـبـرـ.ـ بـيـنـماـ
 آخـرـ لـقـاءـ لـهـاـ لـمـ تـلـقـ مـنـهـ سـوـىـ الـاحـتـقارـ،ـ هـلـ سـتـقـعـ فـيـ حـبـ هـذـاـ الرـجـلـ
 الـغـامـضـ؟ـ أـبـعـدـتـ "فلورـاـ"ـ هـذـهـ الـفـكـرـةـ بـشـدـةـ.ـ لـقـدـ ثـارـتـ عـلـىـ نـفـسـهـاـ
 وـقـرـرـتـ أـنـ تـمـنـعـ نـفـسـهـاـ مـنـ الـآنـ فـصـاعـدـاـ عـنـ التـفـكـيرـ أـوـ الـحـدـيثـ مـعـ "إـيلـينـ"
 عـنـ "جيـمسـ دـىـ لوـيـسـ هـامـ".

"أورور" الشقيق، فإذا كان "چون" هو السبب؛ فإن شبح "أورور" لا وجود له، وإن الحكايات التي سمعتها من "إيلين" مثل ما كانت تسمعه في "كنت" من شائعات غالباً ما كان مصدرها فكراً ذا خيال خصب.

سمحت "فلورا"، قدرت أنه لا طائل من توصيل أفكارها إلى "هنريش ڤون ريتز". رفع التكليف بينه وبينها لم يعجبها، وأرادت أن تختصر الحديث بينهما على تبادل عبارات الجمالة البسيطة. تمنت "فلورا" من جديد عودة "الكونت".

- ما رأيك في هذا؟
ارتجفت "فلورا". لقد كان "هنريش" يحدثها دون أن تسمعه.
قال "هنريش":

- تبدين شاردة. فيم تفكرين؟
أجابت "فلورا" رغمما عنها: بأنها تحاول تخيل "چون دي لويس هام".
استطرد "هنريش":

- كنت أسالك عن رأيك في ذلك تماماً. سأذهب لاري "چون" حالاً وسأطلب منه تناول العشاء معنا هذا المساء. ما رأيك في هذا؟
دهشت "فلورا" لتتكلف الدكتور "هنريش" عناء سؤالها عن رأيها.
أجابت:

- لست أدرى. ماذا ستفعل لو عاد سيدى "الكونت" هذا المساء؟
- أخبرتني أنه لن يكون هنا قبل حوالي عشرة أيام، وأكد لي "جوزيف" ذلك. مازال أمامنا حوالي خمسة أو أربعة أيام.
عبس وجه "فلورا". كانت تعتقد أن الوقت الذي مضى على رحيل سيدها أطول من ذلك.
قال:

- حسن. تبدين حزينة. ماذا هنالك؟ هل غياب "الكونت" يثقل عليك إلى هذا الحد؟
توردت "فلورا" وأسرعت بالحديث متظاهرة بعدم سماع سؤاله:
- سيسعدني التعرف إلى السيد "چون دي لويس هام".
- هل تعرفين أنني أراك ساخرة: إني لا أنتظر بمثل حماسك عودة ابن عمي.

تقدّم "هنريش" نحو "فلورا":
- إني دكتور في علوم الدين، هذا صحيح، ولكنني حساس جمال هذا العالم.

كان شديد القرب من "فلورا" استطاعت الفتاة الشابة أن تستمع تنفسه. بقيت ساكتة لا تعرف ماذا تفعل.

همس:

- عيناك بهما بريق لم أره لدى أي شخص.
حاول أن يحيط خصرها، ولكنها قاومته بعنف.

صاحت:

- اتركني.

صاح في غضب.
-

اصمتني! هل تريدين لفت الانتباه إلينا؟
كانت "فلورا" لا تزال لاهثة من الخوف والغضب.
سألها "هنريش":

- ماذا بك؟ أنا لست حيواناً. لماذا تدفعيني بهذا العنف؟
رمقته "فلورا" بنظرات مشتعلة:
-

إنني أمنعك من الاقتراب.

أخذ "هنريش" يضحك:

- لماذا تصيحين هكذا؟ هل تتوقعين أن يأتي "جوزيف" لنجحتك؟ إني متأكد أنه لن يجرؤ...

حاولت "فلورا" - بكل ما أوتيت من إرادة - أن تستعيد هدوءها وقالت:
-

اصمت!

أجاب بصوت طبيعي:

- لا تقليقي. إني مازلت أذكر أنني دكتور في علوم الدين سيسامحني الله على هذه الهفوة، لكن المرارة القادمة...

نظر ساخراً إلى وجه "فلورا" المذعور:

- توافقين إذن يا عزيزتي "فلورا" على دعوة "چون" إلى العشاء هذا المساء؟

أومات "فلورا" برأسها.
قال راجياً:

- "فلورا". أقبلني العفو عنى لاندفعي هذا.
هل يسخر منها أم أنه صادق؟

قال في إصرار:

- إني بحاجة إلى عفوك حتى أذهب لرؤيه "چون" ودعوته.
استشفت بعض الصدق في كلمات "هنريش":

- في هذه الحالة إني أعفو عنك.

شعرت "فلورا" بحيرة كبيرة أمام هذا الرجل الذي لا تستطيع أن تتنبأ بما سيقدم عليه. كيف مستطاع الدفاع عن نفسها في مواجهة مغازلاته الجريئة وسخرية؛ تمنت لو يقضى - منذ هذا المساء - أكبر جزء من وقته مع ابن عمها "چون".

أنهى "هنريش" حديثه:
إني سعيد لأنك لا تحملين لي أية كراهية.

وضع يده على قلبه كأنه يلقى نصاً مسرحياً. توجهت "فلورا" نحو المطبخ. إن بساطة "إيلين" ستحسن حالها.
ناداهما "هنريش":

- "فلورا"!
التفتت الفتاة.

سألها:

- "فلورا" ، الست مغرة بـ"الكونت دي لويس هام"؟
كانت نظرته ساخرة:

استدارت "فلورا" وغادرت الصالون دون أن تنبس بكلمة.

الفصل السادس

انتظرت "فلورا" وجبة العشاء وقلبتها يدق توجساً. كانت في ذات الوقت متلهفة ومتخوفة لرؤيه الاخ الغامض الكونت "جيمس دي لويس

هام" الذي كانت تخيل وجوده منذ بضعة أيام. كان حدسها يتيئها بأن هذا العشاء لن يكون سعيداً بالنسبة لها. إن وجود "هنريش" لا يطمئنها أبداً.

إنها تحيا حياة غريبة حقاً في قصر "لويس هام" مليئة بالمخاوف والشكوك. عندما حل الليل على البرجـون العـاليـين بـدا القـصر كالـقلـعة التـي تـطلـقـ وـعيـدهـا، وـمـا زـادـ مـنـ غـمـوضـهاـ الضـوءـ المـرـتعـشـ للـشـمـعـدانـ. فـكـرـتـ: "إـنـهـ حـصـنـ الشـيـاطـينـ عـلـىـ الـأـرـضـ"ـ، فـيـ هـذـهـ اللـحظـةـ أـدـرـكـتـ "فلـورـاـ"ـ آنـ الـحـيـاةـ فـيـ قـصـرـ "لوـيسـ هـامـ"ـ حـيـاةـ خـاصـةـ جـداـ.

قال "هنريش" وهو يفرك يديه:
ـلن يتأخر "چون"ـ.

وضعت "إيلين" أدوات المائدة لثلاثة أفراد في عصبية. وأنقضت لـ"فلورا" قائلة:

ـلـسـتـ فـيـ حـالـتـيـ الطـبـيعـيـةـ. ماـذـاـ لـوـ عـادـ سـيـديـ "ـالـكـونـتـ"ـ؟ـ
ـالـدـكـشـورـ يـتـحـمـلـ مـسـؤـولـيـةـ هـذـهـ الدـعـوـةـ. لـيـسـ لـكـ ذـنـبـ فـيـ ذـلـكـ يـاـ "ـإـيلـينـ"ـ.

نظرت إليها "إيلين" وقد اطمانت قليلاً.

ـتعـقـدـيـنـ ذـلـكـ؟ـ وـلـكـ كـانـ عـلـىـ آنـ أـخـبـرـهـ آنـ السـيـدـ "ـچـونـ"ـ لـيـسـ هـنـاـ.
ـأـوـ آنـ سـافـرـ..ـ أـوـ ذـهـبـ فـيـ رـحـلـةـ..ـ

ـفـاطـعـتـهاـ "ـفلـورـاـ"ـ فـيـ رـفـقـ:

ـلـاـ تـقـلـقـيـ يـاـ "ـإـيلـينـ"ـ سـيـكـونـ كـلـ شـيءـ عـلـىـ مـاـ يـرـامـ.

ـابـتـسـمـتـ إـلـيـهـاـ "ـإـيلـينـ"ـ فـيـ عـرـفـانـ،ـ وـقـالـتـ:

ـلـمـ يـوـجـهـ لـيـ "ـجوـزـيفـ"ـ أيـ كـلـمـةـ مـنـذـ الـآـمـ.

ـأـجـابـتـهاـ "ـفلـورـاـ"ـ بـهـدوـءـ ظـاهـريـ:

ـسـيـهـدـأـ.

في الواقع كانت تخشى رد فعل الخادم العجوز. من يعرف ما يقدر عليه؟

سمعت "فلورا" صوت أقدام غير معتادة عند المدخل.
التفت في اللحظة التي دخل فيها "چون لويس هام" في هدوء إلى

—أعتقد ذلك، بالطريقة التي يعامله بها والده فقد حوله إلى كهل. هل تخرجين معه الآن؟ يهض ويمشي ويتزهـ؟

أجابت "فلورا" بالإيجاب.

—تهانـي يا آنسـة "لـارـك". لقد أنجـرت عمـلاً طـيبـاً. خـسـارة لا تـنـولـونـ تعـلـيمـ أخـي "جيـمـسـ" رـبـما تـحـصـلـينـ عـلـىـ بـعـضـ النـتـائـجـ بـيـنـماـ سـيـكـونـ تـلـمـيـذـكـ فـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ أـصـعـبـ كـثـيرـاـ مـنـ "ماـيـكـلـ".

قرأت "فلورا" في عينـي "هـنـرـيشـ ثـوـنـ رـيـتـرـ" سـخـرـيةـ لـمـ تعـجـبـهاـ.

قال "هنـرـيشـ":

—أعتقد أنـهـ الـعـلـمـ لـنـ يـضـايـقـ آنسـةـ "لـارـكـ".

أضاف ملتفـتاـ إـلـىـ "فلورـاـ":

—أمـ أـنـيـ مـخـطـئـ؟

صـعـقـتـهـ "فلورـاـ" بـعـيـنـيـاـ مـاـ أـضـحـكـ "چـونـ". وـقـالـ:

—أوهـ. هـكـذاـ إـذـنـ! إـنـ أـخـيـ لـهـ جـاذـبـيـةـ لـأـمـتـلـكـهـاـ عـلـىـ الإـطـلـاقـ. إـنـ يـجـذـبـ أـيـ سـيـدـةـ يـقـابـلـهـاـ. الـمـسـكـيـنـةـ "أـورـورـ" قـدـ سـقـطـتـ أـيـضاـ فـيـ هـذـاـ الفـخـ.

نظر "چـونـ" إـلـىـ "فلورـاـ" وـتـرـقـفـ عـنـ الضـحـكـ مـباـشـرـةـ. قـالـ بـصـوتـ أـصـبحـ جـادـاـ وـمـهـداـ:

—كـوـنـيـ حـذـرـةـ يـاـ آـنـسـةـ "لـارـكـ". لـقـدـ مـاتـتـ "أـورـورـ" لـأـنـهـ عـرـفـتـ "جيـمـسـ" وـلـأـنـهـ أـحـبـتـهـ.

تجـمـدـتـ دـمـاءـ "فلورـاـ" أـرـادـتـ أـنـ تـنـفـيـ أـنـهـ تـحـبـ "جيـمـسـ"، وـلـكـنـ رـفـضـتـ الـكـلـمـاتـ أـنـ تـخـرـجـ مـنـ فـمـهاـ.

لمـ يـعـدـ "هنـرـيشـ" يـضـحـكـ. وـنـظـرـ إـلـىـ "چـونـ" فـيـ دـهـشـةـ.

—"چـونـ" هـلـ أـنـتـ مـجـنـونـ؟ مـاـذـاـ تـقـصـدـ؟

نظر "چـونـ" إـلـىـ "فلورـاـ" ثـمـ إـلـىـ "هنـرـيشـ" قـبـلـ أـنـ يـجـبـ:

—أـقـصـدـ أـنـ "جيـمـسـ" قـتـلـ زـوـجـتـهـ، لـقـدـ اـغـتـالـهـ حـتـىـ أـكـونـ أـكـثـرـ دـقـةـ.

تـامـلـ "چـونـ"ـ فـيـ فـخـ. وـقـعـ كـلـمـاتـهـ عـلـىـ مـسـتـعـعـيـهـ. اـرـجـفـتـ "فلورـاـ".

حاـولـتـ جـاهـدـةـ أـنـ تـسـتـعـيـدـ هـدوـءـهـاـ. صـمـتـ "هنـرـيشـ" فـيـ حـيـرـةـ.

قال بعد صـمـتـ ثـقـيلـ:

حجـرـ الطـعـامـ. تـولـيـ "هـنـرـيشـ" تـقـديـمـ كـلـ مـنـهـماـ إـلـىـ الـآـخـرـ:

—آـنـسـةـ "فلورـاـ لـارـكـ" السـيـدـ "چـونـ دـيـ لوـيـسـ هـامـ".

بيـنـماـ كـانـ يـصـافـحـهـاـ لـمـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـرـفـعـ عـيـنـيـهـاـ عنـ "چـونـ دـيـ لوـيـسـ هـامـ" عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـهـاـ كـانـتـ تـعـرـفـ أـنـهـ توـأمـ "جيـمـسـ" إـلـاـ أـنـ تـشـابـهـهـماـ أـدـهـشـهـاـ. شـعـرـتـ كـانـهـ "الـكـوـنـتـ" يـقـفـ أـمـامـهـاـ: نـفـسـ الشـعـرـ الأـشـقـرـ وـالـعـيـنـيـنـ الـزـرـقاـوـيـنـ الـبـارـدـتـنـ، وـالـقـامـةـ الطـوـلـةـ، وـالـوـجـهـ المـرـبـعـ، وـنـظـرـةـ الـحـزـمـ. حـاـولـتـ "فلورـاـ" أـنـ تـجـدـ دونـ جـدـوىـ. لـمـةـ اـخـتـلـافـ لـتـشـمـيـزـ أـحـدـهـمـاـ عـنـ الـآـخـرـ. عـنـدـ تـواـجـدـهـمـاـ مـعـاـ فـيـ الـمـكـانـ نـفـسـهـ، لـمـ يـكـنـ تـميـزـ الـوـاحـدـ مـنـهـمـاـ عـنـ الـآـخـرـ.

لـاحـظـتـ أـنـهـاـ تـرـنـدـيـ الـفـسـطـانـ نـفـسـهـ الـذـيـ قـاـبـلـتـ بـهـ "الـكـوـنـتـ" لـأـولـ مـرـةـ.

كانـ "چـونـ" وـ "هـنـرـيشـ" يـتـحدـثـانـ فـيـ حـيـوـيـةـ. لـاحـظـتـ "فلورـاـ" أـنـ صـوتـ "چـونـ" أـقـلـ حـدةـ مـنـ صـوتـ "جيـمـسـ" هـذـاـ الـاـكـتـشـافـ أـسـعـدـهـاـ. إـنـ "چـونـ" لـيـسـ نـسـخـةـ تـامـةـ مـنـ "جيـمـسـ". وـرـأـتـ أـنـ جـزـءـاـ كـبـيرـاـ مـنـ سـحـرـ "جيـمـسـ" يـرـجـعـ إـلـىـ نـيـرـةـ صـوـتـهـ. وـنـتـيـجـةـ لـذـلـكـ لـمـ تـشـعـرـ بـالـإـعـجـابـ نـفـسـهـ تـجـاهـ "چـونـ". إـنـهـاـ تـفـكـرـ كـثـيرـاـ حـقـاـ فـيـ "الـكـوـنـتـ".

ـأـنـتـ إـذـنـ مـعـلـمـةـ "ماـيـكـلـ" يـاـ آـنـسـةـ "فلورـاـ لـارـكـ".

أـضـافـ بـصـوتـ سـاخـرـ:

ـأـخـيـرـاـ تـذـكـرـ أـخـيـ أـنـ لـهـ اـبـنـاـ.

تـورـدـتـ "فلورـاـ". قـالـتـ بـصـوتـ جـافـ:

ـطـلـبـ مـنـيـ سـيـدـيـ "الـكـوـنـتـ" تـولـيـ تـعـلـيمـ اـبـنـهـ.

ـوـمـاـ رـأـيـكـ فـيـ "ماـيـكـلـ"؟

شـعـرـتـ "فلورـاـ" بـالـرـتـبـاجـ. يـبـدوـ أـنـ هـذـاـ هوـ أـفـضـلـ مـؤـالـ طـرـحـ عـلـيـهـاـ مـنـذـ قـدـومـهـاـ إـلـىـ "لوـيـسـ هـامـ" مـنـ الـوـاسـعـ أـنـ الـجـمـيعـ يـتـجـاهـلـونـ وـجـودـ "ماـيـكـلـ".

أـجـابـتـ فـيـ حـمـاسـ:

ـإـنـهـ يـتـقـدـمـ. لـقـدـ تـرـيـضـتـ فـيـ الـحـدـيـقـةـ مـنـذـ بـضـعـةـ أـيـامـ عـنـدـمـاـ كـانـ الـجـوـ جـمـيـلـ. إـنـهـ طـفـلـ يـقـظـ وـنـضـوجـ يـتـخـطـيـ سـنهـ.

استـمـعـ إـلـيـهـاـ "چـونـ" فـيـ اـهـتـمـامـ مـاـ أـدـهـشـ "فلورـاـ". لـمـ يـكـنـ لـدـيـهـاـ قـطـ الفـرـصـةـ لـلـحـدـيـثـ عـنـ تـقـدـمـ تـلـمـيـذـهـاـ.

ـقـالـ:

"جون"! لقد اعتقدت أنك تخليت عنّي. بدا عليها الحزن.
أجبتها: أنا أتخلى عنك؟ إنه أنت من ت يريد لا تراني. وعندما وجدت
أنها لا تفهم، شرحت لها أن أخي قد أفضى إلى بذلك.
قالت في دهشة وفي غضب: هذه كذبة بشعة.

كانت مضطربة تماماً وأرادت أن تستدعي "چيمس" على الفور لتسأله
عن سبب هذا التصرف. لكنّي أعدتها إلى صوتها وقبلت إلا تفعل شيئاً.
في اليوم التالي واجه "چيمس" موقفين صعبين أحدهما مع "أورور" والآخر
معي. أفضل إلا أستعيد هذين الموقفين التعيسين. وكانت تبريرات
"چيمس" مبهمة وغير مقنعة. ولم يفهم سبب فكرته هذه.
في الأيام التالية أنهكت "أورور" تماماً. استجمعت قواها الأخيرة لظهور
ـ "چيمس" أزدراءها ولم تعد لديها الشجاعة على الحياة، لقد خذلها
ـ "چيمس" تماماً، لم يكن لديها حافر للحياة. تجنبني "چيمس" وكان كلانا
ـ يزور "أورور" مع الحرص على الاشتراك.
ـ بعد يومين ماتت "أورور".

ـ أنهى "جون" روايته بصوت تعس.
ـ بدا هنريش في النهاية وقد ارتاح. قال في هدوء:
ـ "جون" إن "چيمس" لم يقتل "أورور" إنه تلاحق أحداث مؤلمة، هذا
ـ كل شيء.

ـ شعرت "فلورا" بالعرفان تجاه هنريش لهذا التوضيح.
ـ قال "جون":

ـ لم أكمل روايتي. ما سأقوله لم يعرفه أحد قط. ستدفن كلماتي هذه
ـ معي في قبرى. ويجب أن توعدناني بالاتصال منها شيئاً إلى أحد...
ـ هنريش أنت ابن عمّي؛ لذلك، أفضى لك بهذا السر الخطير. أما أنت يا
ـ آنسة "لارك" فإن لك نظرة الخدين الحزينة نفسها التي كانت في عيني
ـ "أورور" لهذا فإني أطلب منكما أن تسمعا باقي قصتي.
ـ ارتعشت "فلورا". إنها لا تحب هذا التشبيه الذي لا ينتهي بينها وبين
ـ "أورور".

ـ لم أفهم - لاحقاً - سوى - سبب كذبة "چيمس". إذا كان أخي قد

- "جون" لا تستطيع أن تقدّم أخاك بهذا الاتهام بهذه البساطة.
ـ نهض "جون" دافعاً مقعده بعنف:
ـ ببساطة؟ إبني صامت منذ سنتين، ولقد عزلت نفسى بإرادتى في هذا
ـ الجزء من الحديقة حيث الشتاء القارس. لماذا؟
ـ شعرت "فلورا" بالخوف فجأة.
ـ استطرد:

ـ هل تعتقد أنني أستطيع أن أعيش تحت سقف واحد مع قاتل؟
ـ تحت تأثير الغضب تحول وجهه. وعرفت "فلورا" هذا التعبير نفسه لدى
ـ "الكونت" عندما عاتبه على عدم اهتمامه بابنته. أما هي فكانها قد
ـ تحدّرت بفعل هذه الكلمات فلم تستطع أن تتكلّم أو تفكّر؛ إذ إن الكلمة
ـ "قاتل" أفرغتها.

ـ قال هنريش:
ـ أعتقد أنه يجب أن تشرح لي بوضوح ما الذي يدفعك لاتهام أخيك؟
ـ عاد "جون" إلى الجلوس، يبدو أنه استعاد هدوءه. لم تكن "فلورا"
ـ حريصة على سماع المزيد، ولكنها وجدت نفسها كائناً مخدراً وغير قادر على الحركة.
ـ قال:

ـ كانت "أورور" مريضة منذ وقت طويل. لم يستطع أي طبيب معرفة
ـ علّتها، وبقيت أسابيع بدون علاج لأن أخي "چيمس" حكم بإن كل
ـ الأطباء غير أكفاء وأنهم لن يفعلا شيئاً لإنقاذها.
ـ حاولت عدة مرات أن أثنيه عن قراره، ولكنه تعرّف يا هنريش لم يرد
ـ الاستماع إلىّي. قررنا أن أرعى أنا وهو "أورور" وهي على فراش المرض ولكنه
ـ في النهاية أخبرني بأنه لا فائدة من دخولي حجرة "أورور" لأنها غير راغبة
ـ في استقبالي.

ـ سألته: لكن لماذا؟ أجابني ب杰فاه: هكذا. أصابني يأس كبير حتى إنني
ـ لم أفهم سبب هذا العزل. ذات ليلة أردت أن أعرف السبب. تسللت إلى
ـ غرفة "أورور" وخاطرت بأن أيقظتها. لم تعرف علي على الفور. سالت:
ـ "چيمس"، هل هذا أنت؟ ماذا يحدث؟ عرفتها بنفسها. قالت في دهشة:

هز "چون" رأسه:
- مساء الدفن ذهبت لاري للمرة الأخيرة حجرة "أورور". في هذه اللحظة رأيت الكوب وبه خط أبيض.

صاح "هنريش":

- ثلاثة أيام بعد القتل؟ هل "چيمس" قليل الحرص لدرجة أن يترك دليلاً إدانته واضحاً للعيان بعد بضعة أيام من جريمته؟
عبس "چون" وقال:

- ما تجھله يا هنريش؟ أن "چيمس" مجنون. إنه مجنون تماماً ولا تستطيع أن تنتبه بأفعاله. ولا تحاول أن تجد شيئاً منطقياً لديه. إنه يهمّل ابنه هل هذا معقول؟ إنه لم ير أحداً منذ سنتين، هل هذا منطق؟
شعرت "فلورا" من جديد بهذا الاضطراب الذي لم تعرفه سوى في "لويس هام". سالت نفسها: "وماذا لو كان "چون" هو المجنون؟" وماذا لو أنه الف هذه القصة ليتنقم من أخيه لسبب مجهول؟ من الذي يعيش في عزلة تامة؟ من الذي لم ير أحداً منذ سنتين؟ دار رأسها. حاولت أن تكف عن التفكير، بطريقة ما أخذهما يكذب والآخر مجنون.

واجهت نظرة "چون". إن به شيئاً لا تستطيع تحديده لم تجده في "چيمس". لقد أخطأت "فلورا" عندما اعتقدت أن الآخرين مشابهان تماماً. في نظرة "چون" شرود يشير القلق... بحثت "فلورا" عن الملاذ لدى "هنريش". الذي بدا مهموماً. كان العشاء على الطاولة منذ وقت طوبل ولكن لم يمسسه أحد. عندما عادت "إيلين" لتأخذ الأطباق كان الجو ثقيلاً فخرجت خاوية اليدين دون أن تسأل.

- ماذا لو لم يكن في هذا الكوب سوى الدواء؟
طرحت "فلورا" هذا السؤال لتقطع هذا الصمت الذي أصبح غير محتمل. نظر إليها "هنريش" معجباً بسؤالها.
أجاب "چون":

- مستحيلاً، لم تكن تتناول أي دواء.
أصرت "فلورا" دون أن تكون مقتنعة تماماً:
- ربما أخذته في هذه المرة... .

معنى من دخول حجرة "أورور" فلم يكن ذلك بداع الغيرة كما تصورت في البداية (خض "چون" صوته) لقد كان ذلك لعزل "أورور". نعم ليعزلها حتى يكون الوحيد الذي يراها.

اسala "جوزيف" و "إيلين" عما إذا كان يسمح لهما بدخول حجرة "أورور" وعما إذا كان أراد عزل "أورور" فذلك... توقيف "چون" لحظة بدت دهراً بالنسبة لـ "فلورا". و "هنريش"... حتى يسكن لها السُّم بسهولة في شرابها.

كادت "فلورا" تصرخ، هذا التصرير لا تستطيع أن تحمله وكذلك لا تستطيع أن تصدقه ولكنه منطقي. بدا "هنريش" شارداً.

قال "هنريش":

- هل.. رأيت السُّم؟
ابتسم "چون" ونظرت "فلورا" إلى عينيه القاسيتين:
رأيت آثاراً...
آثار؟

استمر "چون" في الابتسام بطريقة تثير القلق.
صاح فجأة:

- نعم آثار: خط أبيض على حافة الكوب.
- كذلك استمر في حديثه هاماً حتى جاء "هنريش" و "فلورا" ليسمعاً.

- لماذا رفض "چيمس" إجراء التشريح لمعرفة سبب الوفاة؟
تذكرت "فلورا" ما قالته "إيلين" عن ذلك. هذه المرة قد وضح السبب، إن "چيمس" دي لويس هام قاتل. جزء في ضميرها رفض هذا الاتهام. كيف ذلك؟ إنه نبيل جداً وجميل جداً.. صوت آخر بداخلها يقول: لماذا يهتم إذن بـ "مايكيل" إذا كان قد قتل والدته؟ لم يعجب "فلورا" هذا الإحساس بالانتصار الذي بدا على وجه "چون".

قال "هنريش" وقد واتته فكرة مقاومة:
- لكن متى رأيت هذا السُّم؟ لقد قلت إنك لم تعرف الحقيقة إلا بعد بضعة أيام من موت "أورور".

قاطعها "چون":

- مستحيل.

زفت "فلورا". إن "چون" يخيفها ولم ترد أن تثير غضبها، وتظاهرت باكتفائتها بهذا التوضيح.

كان "چون" مبتسمًا دائمًا. إن هذه الابتسامة التي لا مير لها أبداً بالإضافة إلى حديث "چون"— قد زاد من خوف "فلورا" وهو لا يبدو مهتماً على الإطلاق بالانطباع الذي يعطيه للآخرين.

استطرد:

- بمجرد أن عرفت الحقيقة قررت لا أبقى في "لويس هام". كان لي حديث أخير مع أخي، قلت له "سارحل". وانت تعرف جيداً لماذا سارحل، لكنني لن أكون بعيداً عنك. ساسكن الجزء الشمالي من الحديقة. المكان الذي كانت تحبه "أورور" وتعزف بعض مقاطعات "باغ"...، سترى أنني هناك وفي كل مرة تنظر فيها من نافذتك في اتجاه ركن الموسيقى متقول لنفسك: إنني هناك منعزل بسبب فعلتك الشنعاء التي أعرفها. ساسكون بداخلك دائمًا ساسكون ندمك...

صمت "چون". من جديد ليراقب اضطراب مستمعيه:

أضاف:

- رحلت وشئ بداخللي يتعزق لفكرة أنني لن أرى قصر "لويس هام" إنني لن أغير الحديقة وأسلك الطريق الذي اعتادت "أورور" سلوكه، قررت أن أرحل دون أن أخبر "چيمس" بالتفق الذي يربط حجرة "أورور" بقسم الموسيقى في الحديقة. آتي إلى هنا مرات في الليل ونام في حجرة "أورور" لم يعد الجزء الشمالي من الحديقة سوى أرض من الحشائش والأشواك. لكن لا يهم فلن أخرج منها أبداً.

لم يجد "هنريش" شيئاً ليقوله. صمت غارقاً في أفكاره. أما "فلورا" فلم تعرف إلى أين توجه هذه الموجة من الأفكار التي تراحمت في رأسها.

قال "چون":

- سارحل عبر أنفاقي. هذه الطرق التي حفرها أجدادي متاحة حقيقة لم لا يعرفها. ساصطحبك إلى حيث أعيش يا "هنريش" إذا أردت.

أوما "هنريش" برأسه دون أن يجيب.

كتبت "فلورا" لم أعد أعرف، منذ بضعة أيام أواجه عدة أسئلة. والآن قد أجيّب تقريراً عن كل سؤال، ولكن يبقى أمامي سؤال كبير. من الكاذب، من الجنون؟ ليس هناك شك في أن أحد الأخوين إما قاتل خطر أو جنون.

"لم أستطع أن أمنع نفسي من التفكير— في المساء— في حجرتي. في آية لحظة قد يدخل "چون" حجرة "أورور" ويسير فيها طوال الليل وقد ينقل الآثار. إذا استيقظت مثل الليلة الماضية. أعتقد أن خوفي سيكون أكبر— مع العلم بأن "چون" في الحجرة أسفل حجرتي مباشرة. شيء ما به يخيفني ماذا لو طلب منه "هنريش" أن يشاركنا دائمًا الطعام؟ أتمنى عودة الكونت".

"في هذه الليلة استيقظت على كابوس مفزع ولم أستطع أن أعود إلى النوم من شدة خوفي أن أعاود رؤيته. كنت في حجرتي عندما سمعت صوتاً في الحجرة السفلية.

فكرت على الفور "أورور".

"فتح باب غرفتي بعنف... أكان "چون"؟

صاح:

"تعالي ساطلعلك على الأنفاق.

جذبني بعنف من فوق السرير ولم أستطع مقاومته. كانت الصور قد كانت في الردهة التي تؤدي إلى الجنان الغربي من القصر. كانت الصور قد اختفت ولكن كانت "أورور" هناك ونظرتها شديدة الحزن.

قالت:

ـ نحن متشابهان.

ـ نفيت ذلك.

ـ صحت في وجهها:

ـ إني أكرهك... أكرهك.

- يجب أن تستريح يا "أورور" كم من مرة قلت لك ذلك؟
- أصمتني.
- قادني "چون" في الردهة المظلمة و"أورور" تبعنا ضاحكة ضحكة شريرة .

فجأة فتح الباب الآخر وظهر "الكونت". كان ممسكا ب بصورة "أورور" بدا غير ملاحظ وجود "أورور" أو "چون". أمسك بيدي في عنف غاضبا بدون شك لرؤيتي في هذا المكان في قلب الليل.

قال لي بصوته القوي:

- أنت تغرين إذن؟

- جذبني بشدة نحوه وقلبي.

- استيقظت فزعة كت خائفة. تصورت أن "الكونت" نائم في حجرتي أو أنه كان أخاه. سمعت "أورور" تضحك وتسخر مني فلم أعد أستطيع التحمل أكثر من ذلك. أعتقد أنه بمجرد عودة "الكونت" سارحل لأنني لا أستطيع تحمل الجو الذي يسود قصر "لويس هام".

أصبحت اللبالي مصدر خوف. "فلورا" كانت تقاوم النوم حتى لا تعاودها الكوابيس. في الصباح الباكر كانت تنام مجدهدا.. ازداد شحوب وجهها وفقدت عيناه بريقهما. لاحظت "إيلين" ذلك.

قالت لها ذات صباح عندما رأتها تسير بخطى واهنة:

- آنسة "فلورا" ، يجب أن تستريحي.

لم تجرب على إبداء أية ملاحظات أخرى. في المساء أثناء العشاء بدا "چون" الذي لم تعد "فلورا" تحتمل وجوده منشغلًا بصحتها.

قال لها ناصحة:

- يجب أن تلاحظي صحتك يا عزيزتي. هل يتعبك "مايكيل" إلى هذا الحد؟

دهشت "فلورا" لهذه النبرة العطوف التي لم تعتدتها.

أجبت:

- الأمر ليس خطيرا.

قال "چون" في هدوء:

- وضع "چون" يده على فمي.

- اصمتني.

- قادني "چون" في الردهة المظلمة و"أورور" تبعنا ضاحكة ضحكة شريرة .

فجأة فتح الباب الآخر وظهر "الكونت". كان ممسكا ب بصورة "أورور" بدا

غير ملاحظ وجود "أورور" أو "چون". أمسك بيدي في عنف غاضبا بدون

شك لرؤيتي في هذا المكان في قلب الليل.

قال "چون" الذي لاحظ إشارة "هنريش".

- ماذا ترويان أنتما الاثنين؟

أجاب "هنريش":

- لا شيء، ماذا سنروي؟

شعرت "فلورا" بأنها محرجـة. بالـها من عائلـة غـرـيبـة، كل فـردـ فيها يـعـتـيرـها شـاهـدـاـ تـارـةـ وـدـخـيـلاـ تـارـةـ أـخـرىـ.

قال "چون":

- أـلسـتـ منـ رـأـيـ "ـهـنـرـيـشـ"؟ أـلـاـ تـرىـ أنـ "ـأـورـورـ"ـ تـحـتـاجـ إـلـىـ قـسـطـ مـنـ الـرـاحـةـ؟

بدأ الاضطراب على "هنريش"، إنه لا يجرؤ على تصحيح هذا الخطأ.

- لـسـتـ أـدـريـ، رـبـماـ.

رمـقـتهـ "ـفـلـورـاـ"ـ بـنـظـرةـ غـاضـبـةـ.ـ هـلـ سـتـسـتـمـرـ التـمـثـيلـيـةـ مـدـةـ طـوـيـلـةـ؟ـ

أـلـيـسـ قـادـرـاـ عـلـىـ إـيـقـافـ هـذـهـ المـرـحـةـ السـخـيـفـةـ؟ـ خـفـضـ "ـهـنـرـيـشـ"ـ بـصـرـهـ

كـانـهـ أـدـرـكـ العـتـابـ الصـامـتـ الـذـيـ تـوجـهـ لـهـ "ـفـلـورـاـ"ـ.ـ وـالـتـيـ أـدـرـكـتـ أـنـهـ غـيرـ

قادـرـ عـلـىـ مـسـاعـدـتـهـ.

قالـتـ بـصـوـتـ جـاهـدـتـ حـتـىـ يـكـونـ هـادـئـاـ:

- أـنـتـ تـعـرـفـ تـامـاـ أـنـنـيـ لـسـتـ "ـأـورـورـ"ـ.

إنـ نـطـقـهـ بـهـذـاـ الـاسـمـ يـعـذـبـهـاـ.ـ شـحـبـ "ـچـونـ"ـ فـجـأـةـ.

- مـاـذـاـ تـقـولـينـ؟

تنـفـسـتـ "ـفـلـورـاـ"ـ بـعـمقـ لـتـشـجـعـ.

- أـقـولـ إـنـنـيـ لـسـتـ "ـأـورـورـ"ـ وـأـنـتـ تـعـرـفـ ذـلـكـ تـامـاـ.

ارتعش صوتها، إن هذه المواجهة تخيفها بالفعل.

سال "هنريش":

- هل تسمع؟ هل سمعت؟

استطرد ملتفتاً إلى "فلورا":

- أعتقد أنك تحتاجين إلى الراحة حقاً. سأقودك إلى غرفتك.

نهض "جون". بالفعل نظرت "فلورا" إلى "هنريش" في ياس.

قال "هنريش" في هدوء:

- "جون": أهدا، هذه السيدة ليست "أورور" إنها معلمة "مايكيل" إنها الآنسة "فلورا لارك". انظر إليها جيداً.

نظر إليها "جون" للحظات بدت لـ "فلورا" دهراً

- مالم تكن "أورور" فهي شيطان أخذ هيئتتها.

زفر "هنريش":

- أنت بحاجة إلى الراحة يا "جون" يجب أن تذهب، ساصطحبك وغرس

من الحديقة؛ الهواء سيفيدك.

- استسلم "جون" طائعاً.

قالت "إيلين":

- لقد كان يحب سيدتي "الكونتيسة" مثل اخته تماماً.

كانت "فلورا" قد لاذت بالطبع في انتظار عودة "هنريش" إنها لا تحتمل

البقاء في حجرة الطعام، تسمع صوت الريح وتنتظر إلى السجاجيد ذات

رسومات الباروك. لم تكن "فلورا" تحب هذه الحجرة ذات المظهر الكثيب.

ربما يكون هذا "الديكور" هو سبب الأحداث الغريبة التي تحدث بها.

انتهت "فلورا" إلى أن انقضت إلى "إيلين" بأن "جون" يخلط بينها وبين

"أورور" أو يتظاهر بذلك، لم تستطع أن تعرف.. من حسن الحظ كان

"جوزيف" قد لاذ بغرفته.

استطردت "إيلين":

- منذ وفاتها لم يعد هو نفسه. لقد رحل عن القصر بعد دفن سيدتي

مبشرة، إنه لا يريد أن يؤذيك بالتأكيد.. لا يجب أن تقلقي يا آنسة

"فلورا". ذهنه مضطرب قليلاً هذا كل شيء، هذه هي المرة الأولى منذ وفاة

الفصل السابع

سالت "فلورا" في قلق:

- لكن كيف يعيش؟

ابتسم "هنريش" بتسامة واهنة.

- لا تقلقي، لديه ما يحتاج إليه.

نظرت إليه "فلورا" في غضب.

قالت في قوة:

- لقد فرضت على وجود "جون دي لويس هام" الذي كنت أجهل وجوده. لي الحق.. على الأقل.. في أن أعرف أكثر عنه.

كان "هنريش" قد ظهر فجأة بجانب الباب الذي لم تره "فلورا" يفتح فقط، إنه الباب السري المؤدي إلى الت NFC المتصل بقسم الموسيقى.

ارتعدت "فلورا" عندما رأته يظهر عند هذا الباب. ثم راح صوتها، وتغلب عليها الفضول فأرادت أن تسلك هذا النفق الذي يبدو أنه يؤدي إلى جميع أنحاء القصر.

انفجر "هنريش" غاضباً:

- ليس لديك أي حق هنا يا آنسة "لارك" بعكس ما تظنين. إذا كان ابن عمي قد سمع لكِ بآن تستقبليني فهذا لا يجعلك تعتبرين نفسك جديرة

توقفت فجأة وقد أصابها الإخراج. شرحت في ارتباك.

- ذلك لأنني... سمعتك رغماً عنني.

نظرت إلى "فلورا" في قلق. زفرت "فلورا" كيف تستطيع أن تواجه

فضول "إيلين"؟

استطردت "إيلين" مطمئنة:

- الدكتور هنريش يعتذر.

قاطعتها "فلورا" بحدة:

- لا تحدثيني عنه. لا أريد أن أقبل منه أي شيء.. لا اعتذارات ولا دعوات.

فكرت "فلورا" باشمئزاز، إن "هنريش" حاول أن يقبلها منذ عدة أيام، ارتعشت لذكري ملس يده لها وو霎حته، جاءها حلمها بوضوح. ارتبتك.

لن تستطيع بعد ذلك أن ترى "چيمس" دون أن تتذكر تلك القبلة الغربية التي رأتها في حلمها.

سألت "إيلين" في النهاية بعد صمت طويل:

- ماذا يجب أن أقول للدكتور هنريش؟

أجابت "فلورا":

- لن أنزل. سأذهب لتناول العشاء في المطبخ قبل موعد عشاء الدكتور هنريش وسأصعد على الفور حتى أتجنب مقابلته.

أذعن "إيلين". وقالت معضدة كلامها، خافضة صوتها:

- هذا الدكتور فقط للغاية. يحكى عنه أشياء كثيرة.

سمعت "فلورا" تفسيرات أوسع وهي تسأل نفسها. لماذا لم تفصح "إيلين" بما تعرفه عن "هنريش" قبل ذلك.

- إنهم في "ألمانيا" لا يحصون (ترددت "إيلين" في استخدام الكلمة المناسبة)... السيدات اللاتي يصاحبهن. يبدو أنه قد نسي علوم الدين التي درسها. يقضي وقته في حضور موائد الحفلات أو يلبي دعوات صالونات "ألمانيا".

تصورت "فلورا" "هنريش" في أحد صالونات قصور ضفاف نهر "الراين". على الرغم من جسمه البدن (كم يبدو "الكونت" أكثر وسامة

بذلك... لقد حان الوقت لأن تعودي إلى مكانك الصحيح يا آنسة لارك". سيأتي الوقت الذي ستتوقفين عن الحلم بـ"چيمس دي لويس هام".

انتزعت هذه الكلمات "فلورا" من تأملها في الحديقة عبر النافذة الكبيرة لحجرة الطعام. شعرت بأن هذا الهجوم ظلم لها.

أجابت في ثورة:

- إبني أكره "چيمس دي لويس هام" وكل عائلته.

نهضت فجأة وغادرت الغرفة دون أن تنظر إلى الدكتور هنريش.

أرادت أن تصفع باب الحجرة الثقيل. وعلى الرغم من ذلك قد وضعها اسم "چيمس دي لويس هام" الذي لم تنطقه منذ وقت كبير في اضطراب غريب.

سمعت "فلورا" من يطرق باب غرفتها.

صاحت:

- ادخل.

لم تجد وقتاً لتفكير فيمن هو الطارق فقد دلت "إيلين" عبر الباب.

زفرت "فلورا" في ارتياح:

- ما حالك يا آنسة "فلورا"؟

أجابت مبتسمة:

- إبني بخير.

لاحظت "فلورا" أن "إيلين" تتحدث بصوت منخفض. قالت موضحة:

- إن سيدتي دكتور هنريش بعثني إليك، إنه يريدك أن تتناولي العشاء معه.

صاحت "فلورا":

- لا مجال لذلك.

أومأت "إيلين" برأسها:

- هذا ما قلته له.

هام" وهي تشعر بعصبية ليست في طبيعتها. بالتأكيد إن طبيعة سومريت "أكثر قسوة من طبيعة" كنت" ولكن ليس ذلك تفسيراً كافياً. هذا القصر بأبراجه الخفيفة التي بنيت لتحميء من عدو غير معروف غرفه الخاوية التي تدب فيها حركة مجونة أحياناً، مراسم العشاء غير المنتهية على مائدة من الأبنوس تشبه التابوت الذي يدعوه إلى الموت، والسراديب التي تشبه المتأهة التي تؤدي إلى قسم الموسيقى الذي علمت "فلورا" مؤخراً أنها تؤدي - أيضاً - إلى الكنيسة التي دفت فيها "أورور". كل هذه العناصر التي تؤلف الحياة العادمة في "لويس هام" كانت هي نفسها التي تدفع "فلورا" للرحيل.

منعت "فلورا" نفسها عن التفكير أكثر من ذلك حتى لا تفرق في الخوف. أرجأت فكرة حل لغز موت "أورور" وفضلت أن تقرأ في رواية "لـ جان أوستن".

دخل "هنريش" دون أن يعلن وجوده.
قال:

- إبني اعتذر عن أسلوبي الساخر وأطلب منك مشاركتي العشاء،
تعجبت "فلورا" لجراة هذا الرجل، الذي على الرغم من رفضها، جاء إلى غرفتها يطلبها دون أن يتکبد عناء الطرق على الباب.

لم ترد أن تضعف.
قالت بصوت بارد:

- سيد، أعتقد أنني أخبرت "إيلين" بإجابتي، ليس لدى ما أضيقه.
بدأ "هنريش" موشكًا أن يبأس. نظرت إليه "فلورا" في دهشة. لماذا يقلق من رفضها إلى هذا الحد؟ هل كبرباء؟ لكن لماذا جاء ليجرح نفسه أمامها؟
قال:

- أسمعي، أعرف أنني أساءت التصرف بشدة تجاهك منذ قليل....
قاطعته "فلورا":

- منذ قليل؟! تقصد منذ مجيك.
ذكرى أول ليلة له ما زالت محفورة في ذاكرتها.
قال "هنريش":

منه) فهو يستطيع إغواء بعض السيدات بسحره.
أضافت "إيلين":

-منذ بضع سنوات تاجر سيد "الكونت" وسيدي "الكونتيسة"
بسبب حياته المnelle. للحق لم ترد سيدي الكونتيسة استقبال هذا الرجل الذي ملا قصص مغامراته الأسماع حتى إنجلترا.

لم تستطع "فلورا" أن تكبح غيظها. إذا كانت "إيلين" تسمع لنفسها بهذه الحكم على "هنريش" فذلك لأن من قبل حكمها قد أداه "أورور" سلوكه بشدة. "أورور" في كل مكان كلماتها ترك آثارها. كل شيء يقال أو يعمل في "لويس هام" إن به ذكرى منها أو يسببها أو يفضلها. هذا الحقد الذي شعرت به "فلورا" عند رؤيتها لصورة "أورور" قد تملكتها الآن من جديد. اكتفت بآن استمعت إلى "إيلين". لو كان هناك في حجرتها شيء ترجع ملكيته لـ "أورور" لخطمته بكل سرور! أرادت أن تقول لـ "إيلين" إن قصص عائلة "لويس هام" لا تهمها. لا يهمها إذا كان ابن عم "الكونت" رجلاً فاسداً أو أن يكون آخره مجنوناً أو أن يكون هو نفسه قاتلاً. أو أن تكون "أورور" قد ماتت.

فكرت في فرع: "چيمس دي لويس هام" قاتل، أحقا أنه دس السم لـ "الكونتيسة"؟! وعدت "فلورا" نفسها بآن تكرس هذه الليلة حل هذا اللغز. ارتعشت.. رجل بهذه الوسامة يستطيع أن يقتل؟! لم تستطع أن تجib.

نظرت "إيلين" إلى "فلورا" وهي تحاول فهم أسباب هذا الصمت الممتد. لكن لم يجد أي تعبير على وجه "فلورا".

قالت "إيلين" عندما رأت أنها لن تحصل على أية إجابة:
-لدي عمل، يجب أن أحضر العشاء. أقول لسيدي دكتور "هنريش" ..
أكملت "فلورا" الجملة في عنف:
- ... أن يتركني وشأنى.

إن مجرد اسم دكتور "هنريش" يصيبها بالذعر. لقد اتخذت قرارها: بمجرد عودة "چيمس دي لويس هام" ستخبره برحلتها. إنها لا تزيد أن تعرف أي شيء عن هذه العائلة المذكورة. منذ مجيئها إلى قصر "دي لويس

- إني أنتظر عودته، لن أرحل قبل أن أقابل سيدي الكونت "چيمس دي لويس هام".

استعاد "هنريش" نبرة عائلة "لويس هام" القاسية:

- أريد أن أحدث معك قبل عودة ابن عمي.

فكرت "فلورا" في أن هذا المكان قد يكون السبب في رغبته أن تقبل اعتذاره.

قال وهو يضغط على كلامه:

- لا داعي على الإطلاق أن تروي لـ"الكونت" أنك قد رأيت "چون" أو حتى عرفت بوجوده.

كان استهجان "فلورا" شديداً، حتى إنها لم تستطع أن تعبّر عنه. استطرد "هنريش" دون أن يهتم بما قد تفكّر فيه "فلورا":

- ولا حتى أن تخونك حركة أو كلمة غير مقصودة تكشف عن معرفتك أي شيء. هل تفهميني؟

زفرت "فلورا" بعمق قبل أن تجيب.
قالت بحدة:

- كل حديثك لا طائل منه أنا لست طفلاً.

أوما "هنريش" برأسه. واستطرد:

- لم أرد أن أجربك، ولكن بإشارة أو كلمة قد ينكشف عن الأمر...

قطعته "فلورا":

- في هذه الحالة فإن كل كلماتك لا طائل منها. حتى لو كنت حذرتي فهذا لن يعنني عن الحديث.

لاحظت أن "هنريش" بدا عليه القلق. أجاب:

- في هذه الحال انسني كل ما قلته لك. ولكن أيضاً...
مال "هنريش" نحو "فلورا".

قد أطلعني "چون" على بعض الخطابات التي كتبتها له "فلورا"....

اعتذر "هنريش" بابتسامة.

- أقصد "أورور"طبعاً.

سالت "فلورا" نفسها في غضب، ما إذا كان هذا مقصوداً؟!

- منذ مجبي، أريد أن أصلح خطئي الآن.
أجابت "فلورا":

- ليس هذا الوقت المناسب.

- أستطيع أن أشرح لك كل ما في قسم الموسيقى.. كل صور "أورور" واحدة واحدة إذا أردت.

نظرت "فلورا" إلى "هنريش" في دهشة شاعرة إثارة فضولها. استطرد:

- يعيش "چون" في قسم الموسيقى الذي يتكون من غرفتين فقط. في كل غرفة معلم على حائطها حوالي عشر صور تخص "أورور". صور لوجوها ولكن باشكال مختلفة. إحدى الصور موجود مثلها في الردهة المؤدية إلى الجناح الغربي من القصر.

كانت "فلورا" ممزقة بين الرغبة في معرفة معلومات أكثر والغضب من هذا الرجل الذي دخل غرفها دون استئذان.

استطرد "هنريش":

- هناك أيضاً طاولة كبيرة وأشياء تخص "أورور" موضوعة في فوضى. خطابات متبادلة بين "چون" و "أورور".

توقف "هنريش" ليراقب وجه "فلورا". كانت متربدة في السلوك الذي يجب عليها اتخاذذه. قال:

- "فلورا"، تعالى معي إلى حجرة الطعام. لا نستطيع أن نبقى هنا في حجرتك، أنت تفهمين جيداً.

تبعدته "فلورا" دون أن تبصس بكلمة. كانت مغناطة منه لانه جعلها تتصرف بعكس ما قررته.

مجرد أن جلسا إلى الطاولة قالت:

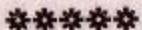
- عائلة "دي لويس هام" لا تهمني، لن أبقى أكثر من ذلك هنا. فكرت في "مايكيل" في حزن، ولكنها كانت قد قررت مغادرة هذا المكان الملعون بسرعة.

- آنسة "فلورا الارك"، أعتقد أنتي أعرّف سبب اشمئزازك المفاجئ. أنت خائفة من عودة الكونت "چيمس دي لويس هام" منذ أن عرفت أنه قاتل. توردت "فلورا". قالت معترضة في قوّة:

من نظرة "جون". كما أن بصوته نبرة ساحرة.
شعرت بأنها في ذات الوقت ممتننة ومتوتة. أخيراً جلس "چيمس" في مقعده بعيداً عن الطاولة. لاحظت "فلورا" على وجهه شحوباً مثيراً للقلق.
شعرت بالقلق. عيناً "الكونت" تلمعان ببريق غير معناد.
قال لـ"هنريش":

- إنه الشمال بأمطاره وضبابه الكثيف... لست أدرى كيف تعيش في "ألمانيا" مع هذا الطقس القاسي!
ضحك "هنريش" قائلاً:
- لقد تعودت.

من جديد شعرت "فلورا" بأنها بعيدة. لم يلق "چيمس" أية نظرة تجاهها، ولم يسلم عليها. الآن يترثر مع "هنريش" كأنها غير موجودة. اغرسورقت عيناً "فلورا" بالدموع. التفتت لنرى الرجلين يهران أمامها. "چيمس دي لويس هام" يتکئ على ذراع ابن عمده "هنريش". صعدت "فلورا" بسرعة إلى غرفتها وأخذت تبكي. انهمرت دموعها مما أراها من حزن ثقيل.



في صباح اليوم التالي قال "هنريش":
- "چيمس" مريض، لقد أمضيت الليل إلى جواره، إنه يهذى، إذا استمرت هذه الحمى يجب استدعاء الطبيب.
التفت نحو "إيلين" قائلاً:
- هل من الممكن نقله إلى الجنان الشرقي؟ إنه منعزل تماماً في الجنان الآخر وإذا طلب المساعدة فلن يسمعه أحد.
تمنم "جوزيف":
- لا توجد حجرة في هذا الجانب.

صاح "هنريش" في تعجب:
- كيف لا توجد حجرة؟ وحجرة "الكونت" القدية؟
السيد "مايكيل" يعيش فيها.

- أطلعني "جون" على بعض الخطابات التي كتبتها له "أورور" قبل موتها ببضعة أيام. كانت تشكو الغيرة المرضية لـ"الكونت" وقالت إن زياراته الطويلة لها تنهكها لأنه كان يلقي عليها كل مرة أسللة لا تنتهي عن "جون"، وكم من الوقت تستغرق زياراته لها وعما يتحدثان... كتبت "أورور" قبل موتها ببضعة أيام تحير "جون" أنها تفضل الموت على مواجهة أسللة "چيمس" كل يوم.

صمت "هنريش" على الرغم من كل شيء لم تستطع "فلورا" أن تخيل الكونت "چيمس" يتسلل إلى حجرة "أورور" ويدس لها السم في شرابها. ومن ناحية أخرى إذا كانت لا تتناول دواء فكيف استطاع أن يسقيها هذا السائل الأبيض؟

أشركت "هنريش" في تفكيرها. فرفع كتفيه وقال:
- لا أحد يعرف أبداً. كل ما يمكن قوله إن "چيمس" كان شديد الغيرة و"جون" كان يحب "أورور" بصدق. المسكينة "أورور" كانت تناول بين الاثنين...

فكرت "فلورا" في كلمات "إيلين": هل "هنريش" مازال حاذداً على "أورور" لأنها تشارجرت مع ابن عمده بسببه؟ لا يبدو ذلك. يبدو أنه تأثر بموتها. من جديد واجهت "فلورا" فكرة تقلبات عائلة "دي لويس هام" السريعة والتي لا يمكن التنبؤ بها.

في هذه اللحظة سمعت "فلورا" صوت أقدم في المدخل الكبير تقدم إلى الغرفة التي كانا بها. نظرت "فلورا" إلى "هنريش":
هل هذا "جون"؟ أدرك "هنريش" سؤالها الصامت. انتظرا في صمت، وصل القادم أخيراً.

صاح "هنريش":
- "چيمس"!

عند سماعها هذا الاسم دق قلب "فلورا" بسرعة. رفعت عينيها. أتعجبت بالسرعة التي فرق بها "هنريش" بين "چيمس" وأخيه "جون". ترددت في البداية. ولكنها عندما افترضت منه وجدت أنه ينبعث منه سحر يغيب تماماً عن "جون"، كما أن نظرة "چيمس" أكثر صراحة وأكثر جمالاً

أيضاً. أكثر فاكثر يزداد إحساسها بأنها غريبة عن كل ما يحدث في هذا القصر. وهي حقاً لا يهمها إن كان يشغل "الكونت" الجناح الغربي أو الجناح الشرقي من قصر "لويس هام". على الرغم من ذلك ازداد قلقهامنذ أن عرفت أنه مريض.

قالت:

- أرجو المعذرة، يجب أن أذهب لاري "مايكيل".
انسحبت "فلورا" سمعت "هنريش" يعلق على تفكير مزاجها. لم تعر ذلك أهمية.
لم يتفاقم مرض "الكونت" ولكن حالته لم تتحسن. لقد راح في-
أغلب الوقت. في نوم يتخيله الهذيان. بقي دكتور "هنريش" بجانبه دائماً تقريباً ولم يأخذ إلا قسطاً قليلاً من الراحة أثناء تناول الوجبات. كانت "إيلين" تصر على أن يأخذ الدكتور قليلاً من الراحة من وقت آخر.
كانت تقول مقترحة:

- أستطيع أن آخذ مكانك.

لكنه كان يرفض كما كان يرفض عروض "جوزيف" الذي لم يكن يتحمل أن يتولى شخص غيره الاهتمام بسيده "الكونت".
لم تستطع "فلورا" أن تقنع نفسها عن التفكير في حالة "الكونت" الصحية. أسرعت- رغماً عنها. تusal عن أخباره بمجرد أن رأت دكتور "هنريش" الذي أجابها:
- إنه لا يتحسن.

استدارت "فلورا" نحو غرفة "مايكيل" وهي تشعر ببعض المخزن.
تلقي "مايكيل" خبر مرض والده بعدم اكتراث مما أصاب "فلورا" بخيبةأمل.

قالت له بنبرة يشوبيها اللوم:

- إن الأمر يتعلق بوالدك.

اكتفى "مايكيل" بإن أدار بصره. دون أن يجيبها. فكرت "فلورا" في أن "چيمس" لم يهتم فقط بصحة ابنه. وكان "مايكيل" يخرج الآن بشكل طبيعي ويتزه في الحديقة. لم يعرب عن أية رغبة في التوجه إلى الجزء

-وحارة "الكونتسية"؟
نظر إليه "جوزيف" في تحد وقال:
ـ لم يسكنها أحد منذ موت سيدتي ولن يسكنها أحد أبداً. لقد قرر سيدى "الكونت" ذلك.

خرج "جوزيف" بعد هذه الكلمات.
صاح "هنريش":

ـ اللعنة على هذا الرجل. إنني لم أقابل أحداً بهذا التعنت.

اقترحت "إيلين":

ـ ربما سيدى "الكونت".

ـ أحد "هنريش" يضحك. هذه الملاحظة قد أعادت إليه ابتسامته. قالت "إيلين":
ـ أتمنى أن يتحسن سيدى "الكونت"، لا تستطيع أن تستدعى الطبيب إلى هنا؟

قال "هنريش":
ـ أريد ذلك.

أومات برأسها:

ـ حتى إذا وافق "الكونت" على استدعاء طبيب، فهل سيأتي أحدهم إلى قصر "دي لويس هام" بعد المقابلة التي تلقوها عند مرض "الكونتسية"؟

قال "هنريش":

ـ سنرى ولكن الكونت ليس في حالة تسمح له بالرفض أو بالقبول، أرى أنه يجب نقله إلى هنا، ما رأيك يا آنسة "لارك"؟

ـ لم تكن "فلورا" قد توفيت بكلمة حتى الآن ويبدو أن أحداً لم يلاحظ وجودها.

أجبت رغم أنها:
ـ لست أدرى.

ـ تمنت لو كانت أكثر مشاركة لكنها لم تستطع. أرادت أن تقنع بأنه أمر طبيعي إلا يلاحظ "چيمس" وجودها بما أنه كان مريضاً ولكنها لم تستطع

المربيحة.
كان "الكونت" ينام نوماً متقطعاً. لاحظت "فلورا" بقلق تنفسه السريع غير المنتظم. حاولت أن ترکز في أعمال التطريز التي شارت على الانتهاء منها. ولكن كان بصرها يذهب دائماً إلى وجه "الكونت" الشاحب بشكل مخيف. لم تستطع "فلورا" أن تمنع نفسها من الارتفاع. نهضت وخطت عدة خطوات في الحجرة الكبيرة الباردة. إن الحوائط الطويلة تشبه أعلام الحداد. كان سرير "جيمس" كبيراً.

استدارت لتجلس بجانب رأس "الكونت" ناظرة إلى وجهه المتعب بعطف بالغ. في نومه بدا لها "الكونت" أكثر قرباً. فتح عينيه. فرأت "فلورا" هذه النظرة الزرقاء التي تتغلغل في أعماقها وتصيبها دائماً بالأضطراب. حتى وهي مشتعلة من أثر الحمى، فلقد احتفظت عيناه بنظرتها الشاخصة كالصقر. أدار رأسه نحوها. ابتسمت إليه "فلورا". لقد نسيت كل غضبها الذي شعرت به ليلة وصوله. ابتسمت إليه في حنان. رد إليها "الكونت" الإبتسامة.
امتلاً قلب الفتاة بالسعادة.

مد إليها يده. أخذت "فلورا" يده المشتعلة بحنان بالغ. قالت في نفسها إنه مريض، إنه يحتاج إلى مساعدتي. بدت معيبة بأن تقدم له مساعدة عن طيب خاطر.

همس "الكونت":

- "أورور" هل أنت هنا.

قبل أن تجibه "فلورا" جذبها "الكونت" وقبلها قبلة طويلة، كانت "فلورا" مرتبكة للغاية فلم تعرف كيف تتصرف. إن شفتى "الكونت" قد أشعلتا وجهها بالحمرار. لكنها فكرت بغضب في هذا الاختلاط الشعس الذي يضعها دائماً في موقف حرج. ماذا لو كان الكونت في وعيه. ماذا كان سيقول؟

فكرت "فلورا" في أن قدرها في قصر "لويس هام" يجب أن يكون هذا الخلط الذي لا ينتهي بينها وبين "أورور".
فقال "الكونت" وهو ينظر إليها:

الشمالي من الحديقة. مما جنب "فلورا" أن تمنعه. في الحديقة كانت تخشى دائماً أن يظهر "جون". ولكن منذ الليلة التي خلط فيها "جون" بينها وبين "أورور" لم يظهر قط. ولم يعرب "مايكيل" عن أية رغبة للذهاب إلى غرفة والده.

جاء "هنريش". جاء يجري لاهاً عبر الردهة الطويلة حتى وصل إلى الصالون الأخضر، وكانت "فلورا" تنهي أعمالها اليدوية. كانت ساعة راحة "مايكيل"، وكانت "فلورا" تقدر هذه الساعة من الهدوء حيث تستطيع أن تمارس هوايتها.
كانت قد بدأت هذا العمل منذ عدة أشهر، لم تجد دائماً الوقت الكافي لتنهيته.

قال "هنريش" بصوت لاهث:

- آنسة "فلورا" ، ساذهب إلى القرية لإحضار الطبيب.
انتاب "فلورا" قلق شديد.

- أليس بخير؟

- إن حالته تسوء. إنه يتنفس بسرعة ويشكو ألمًا شديداً في رأسه.
توقف "هنريش" قليلاً ليلتقط أنفاسه.

- لا يجب أن أتركه دون أن يكون أحد بجانبه، من فضلك كوني بجانبه حتى أعود. يمكنك أن تأخذني عملك معك، إنه لا يريد إلا وجود أحد إلى جواره فقط.

توحست "فلورا" من هذه المهمة ولكنها قبلت.

قال "هنريش":

- اذهبي على الفور. ساعود بسرعة.

نهضت "فلورا" وطوت أعمالها التطريزية وتوجهت نحو الردهة التي عبرتها بمفردها للمرة الأولى. تجاهلت كل صور عائلة "لويس هام" القديمة ولم تلق نظرة واحدة إلى "أورور". فكرت في مرض "جيمس" الذي تفاقم فجأة. تذكرت الشهور الطويلة التي قضتها بالقرب من فراش والدتها

وادرك أنه الطبيب، نهض "چيمس" من سريره وأكد في صوت هادئ أنه في صحة جيدة. أصر الطبيب على فحصه ولكنه رفض المثلول له. خرج الطبيب غاضباً وهو يقسم على لا يعود إلى قصر (لويس هام) لو استدعوه. ابتسمت "فلورا" عندما نقل لها "هنريش" ما حدث. كانت تعرف الآن طبيعة "چيمس" دي لويس هام.

خشيت "فلورا" خلال الأيام التالية أن يستغل "هنريش" لحظة تواجدهما بمفردهما ويشير إلى الموقف التعس الذي حدث لها في غرفة "چيمس". كانت تنتظر دائماً موعد الوجبات في توجس، كانت تلك هي اللحظات التي يخرج فيها "هنريش" من حجرة "الكونت" ليستريح قليلاً ويتناول الطعام. كانت تخشى أن تكون الأخبار سيئة ولكنها اطمأنّت عندما أخبرها "هنريش" أن حالة "الكونت" مستقرة أو يبدو أنه يتحسن، ولكن استمر قلقها كثيراً وأخذت ترقب كل كلمة في حديثه خشية أن يلمع إلى خطأ "الكونت". مضت الأيام وهدأ قلق "فلورا" شيئاً فشيئاً. يداً أن "هنريش" لم يعرف شيئاً. شعرت "فلورا" بالغرفان لأن "چيمس" لم يشرك أحداً في هذا السر.

قالت "فلورا" في نفسها: "نعم إنه سر" على الأقل... أنه شيء يقرب كلّاً مني للآخر. إن ذكرى هذه القبلة عميقة حتى إنها نسيت الأحداث التي نتجت عنها. لقد نسيت هذيانه باسم "أورور" ولم يعد في ذاكرتها سوى حنان وحرارة هذه القبلة.

لم يعرض "هنريش" عليها أن تتبادل معه رعاية "چيمس". ولم تجرؤ هي على هذا الطلب. على أية حال لم تكن مستعدة لكي تواجه من جديد نظرته الزرقاء الباردة التي تمجدها على الرغم من ذلك مؤثرة. فكرت "فلورا" في رحيلها ببعض الأسف. لقد أرجأت هذا التاريخ الذي كانت تنتظره بفارغ الصبر إلى شفاء "الكونت". إن "مايكل" الآن أفضل كثيراً من ذي قبل، إنه الآن يستطيع أن يخرج ويتحرك بشكل طبيعي. حتى "الكونت" نفسه لن يستطيع أن يرفض رغبة "مايكل" الشديدة في أن يذهب إلى إيطاليا حيث يدرس اللغة والفنون عدة سنوات.

- لا تقولين شيئاً؟
تمتّت "فلورا":
- أنا، أنا...

توقفت فجأة، لا تجد الشجاعة حتى تكمل. تغيرت نظرة "چيمس" فجأة. انفجر في ثورة لا يستطيع أن يسيطر عليها:
- لكنك لست "أورور".

ازاح الشال الذي وضعه "فلورا" على سريره لتغطيه به.
نظرت إليه "فلورا" في خوف وهو يريد أن ينهض لكنه سقط في سريره منهكاً.

قال في جهد:
- اخرجي اخرجي على الفور! ماذا تفعلين هنا؟ من أنت؟
أجابت "فلورا" بصوت مرتعش:
- أنا "فلورا الارك" يا سيدى "الكونت". سيعود ابن عمك بعد قليل.
بدأ "چيمس" كانه راح في شرود قاتم:

ردّ:
- "فلورا الارك"...
بداله الاسم مجهولاً تماماً. شعرت "فلورا" بأن قلبها يتخطّم. فجأة بدأ كان "الكونت" قد تذكر شيئاً.
صاح:

- أنت كاذبة... اخرجي من هنا
ووجدت "فلورا" أنه لا طائل من محاولة أن تشرح له ما حدث. خرجت في حزن آملة لا يتأخر "هنريش". وعلى الرغم من كل شيء بقيت في أعماقها ذكرى القبلة المشتعلة.

الفصل الثامن

تحسنّت حالة "الكونت" شيئاً فشيئاً دون مساعدة الأطباء عند عودة "هنريش" مع الشخص الذي يرافقه والذي تعرفه "چيمس" على الفور

تغفظهما. ظهر "هنريش" فعيس وجه "إيلين"، إنها لا تستطيع أن تنسى ما قالته عنه "أورور".

قال "هنريش":

- بعد الظهر سأتجه أنا و"الكونت" إلى "لينسون"، "جوزيف"، جهز الخيوط الساعة الثالثة.

أذعن "جوزيف". وأجاب:

- أعرف ذلك يا سيدي "هنريش"، لا تقلق. سيكون كل شيء جاهزاً. شعرت "فلورا" من جديد بأن "الكونت" يتآمر مع خادمه العجوز بما يجهله كل سكان القصر. سالت نفسها إذا كان الشيء نفسه قد حدث في حياة "الكونتيسة أورور"؟

تقدم "هنريش" محتاراً قليلاً نحو "فلورا". قال:

- آنسة "فلورا"، هل أستطيع أن أتحدث معك لحظات؟
أذعنت "فلورا" ونهضت لتتبع "هنريش" إلى الصالون الأخضر.
قال:

- أفضل أن أحدثك هنا بدلاً من المطبخ، إنني لا أحب "جوزيف"، كثيراً.
يبدو أصم ولكنه يسمع جيداً عندما ي يريد.

وافقت "فلورا" بإشارة من رأسها. كانت تريد أن تعرف ما ي يريد أن يقوله "هنريش" فإنها تخشي أن يكون "الكونت" قد تفوته بشيء مما بدر منه تجاهها بعد أن تحرر من مرضه. توقفت "فلورا" عن هذا التفكير. إن هذه القبلة لا تعني شيئاً، كانت تعرف جيداً أن "چيمس" قد أخطأها، وإذا كانت هي تحبه حقاً (أخيراً جرئت على الاعتراف بذلك) فهو لا يشعر تجاهها سوى بالاحتقار. من ناحية أخرى ماذا تستطيع أن تأمل من وضعها كمزيفة؟ على افتراض أنها جميلة، فإن صورة "أورور" تتحدى جمالها في كل مرة تنظر إليها، هل تستطيع أن تخالم بان يقبل "الكونت" أن ينظر إليها؟

حاولت "فلورا" أن ترکز فيما يقول "هنريش":

- لن أطيل عليك لقد تحدثت كثيراً مع ابن عمي خلال هذه الأيام ومن الطبيعي أننا توصلنا إلى ...

قالت "إيلين" في حماس:

- مسيفيده الجو بشكل جيد.

اغرورقت عيناً "إيلين" بالدموع.

- هل تعلمين أنه كان لوجودك أثر السحر على السيد "مايكيل"؟
ابتسمت إليها "فلورا" وتذكرت نفس المจำلة التي ساقها إليها "جون دي لويس هام" ليجرحها بعد ذلك. فجأة تخبت المشهد الذي يجب أن تعشه قبل رحيلها. لقد اتفقت بينها وبين "مايكيل" أن تعرض نفسها رغبته على "الكونت". وافقت "فلورا" لتسعد الصبي. لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من التفكير في ثورة "الكونت" في كل مرة كانت تحدثه فيها عن تعليم ابنه. زفرت "فلورا". سيكون ذلك آخر اختبار لها قبل رحيلها، لن يكون "لويس هام" بالنسبة لها سوى ذكرى. لمعت الدموع في عينيها السوداويين الجميلتين، لم تستطع "فلورا" أن تخيل أن بعد بضعة أيام ربما لن ترى الطاولة الأبنوسية الكبيرة التي تتناول عليها الوجبات كل مساء، والغرفة الوردية التي أصبحت رقيقة مخاوفها وشكوكها، ولا ابتسامة "مايكيل" التي عوضتها عن كل الصعوبات التي واجهتها في هذا القصر. تخيلت ظلال "الكونت" فدق قلبها بشدة.

أعلن "جوزيف" لـ"فلورا" - بينما كانت تدخل المطبخ:
- لقد شفي "الكونت".

يبدو صوته فرحاً. عند سماعها هذا الخبر وتب قلب "فلورا" من السعادة. لم تلاحظ حتى هذه اللحظة كل هذا القلق الذي كان يسببه لها مرض "الكونت". شعرت فجأة كأنها قد تحررت من حمل ثقيل. شعرت برغبة في أن تأخذ "إيلين" و"جوزيف" في رقصة، اكتفت "إيلين" من ناحيتها بابتسامة سعيدة. عادت الحياة إلى قصر "لويس هام" الآن وقد استعاد السيد صحته.

قال "جوزيف" سعيداً باللمحة التي عهد إليها بها:

- بعد الظهر ساصحب سيدي "الكونت" إلى قرية "لينسون"، أول خروج للسيد.
تبادلت "إيلين" و"فلورا" نظرة. هذه الكبراء تشير مرحهم أكثر من أن

تعلم بي يوجد أخيه؟
استشافت "فلورا" في كلمات "هنريش" تلك الساخرة التي عهدها فيه
وكرهتها أيضاً.

أجابت في فتور:
ـ دكتور "هنريش" أنا لا أعرف شيئاً عن ذلك.
نظر إليها ساخراً.
سألها:

ـ لا تعرفين شيئاً عن هذا؟ حقاً؟
هذا الإصرار لم يعجب "فلورا".
ـ ليس لديك أي حق يا سيدي أن تشك في كلامي.
أجاب:

ـ حسن، لم أكن لاسمع لنفسي بذلك.
تمنت "فلورا" أن ينتهي هذا الحديث بسرعة، التفت مرة أخرى إلى الطاووس الذهبي، ولكن في هذه المرة كان سامها ولامباتها حقيقين.

قال "هنريش":

ـ هذا كل ما رغبت في معرفته يا آنسة "فلورا".
اغتاظت منه "فلورا" أكثر. لقد أيقظ فضولها ليتركها بعد ذلك تخمن وتفسر كلماته كما يحلو لها.

نهض "هنريش" وقال عندما هم بمعادرة الصالون:
ـ آه لقد نسيت شيئاً. سيدي الكونت "چيمس دي لويس هام" يريد رؤيتك عند عودتنا من "لينسون". سبقوه "چوزيف"، في الوقت المناسب.

اختفى "هنريش" قبل أن تجد "فلورا" الفرصة لتجيب. في غضبها أرادت "فلورا" أن تخبره عن رأيها في الطريقة التي يعاملها بها.

شعرت "فلورا" بأنها سجينه في قصر "لويس هام" شعرت كأنها في فقص يتحكم في فتحه وإغلاقه "چيمس دي لويس هام" و"هنريش" على سجيتهما. يسمحان لها بالخروج أحياناً لتختبئ بجناحها قليلاً ثم يعلقان القفص الذهبي وعلى شفاههما ابتسامة شريرة.

دق قلب "فلورا" بسرعة جدونية.
استطرد "هنريش":
ـ ... بشان "جون دي لويس هام".

زفرت "فلورا" زفراً ارتياخ. ولكن عادت إليها اتهامات "جون دي لويس هام". غير قادرة على أن تعرف إذا كانت مبنية على أساس، وقررت أن تنساها بقدر ما تستطيع. في الحقيقة لم ترك تلك الاتهامات ذهنها قط ولكن استطاعت "فلورا" أن تغير آثارها السيئة فيها.

استطرد "هنريش" في هدوء:
ـ لقد غضب "چيمس" كثيراً. كما تصورينـ عندما عرف أنها علمنا بوجود "جون دي لويس هام" أو على الأصح المكان الذي يعيش فيه وخاصة أنها رأيناها، "وثب" بمعنى الكلمة من سريره عندما علم أنه تناول العشاء معنا عدة مرات.

ركزت "فلورا" نظرها في الطاووس الذي يشكل منتصف السجادة ذات الخلقية الحضراء، هل أدرك "هنريش" أخيراً إذا كان "چيمس" قاتلاً: لم ترد على أبيه حال أن تكشف له عن عاطفتها الجياشة التي تعتصر قلبها. لهذا ركزت بصرها على الرسومات الذهبية متظاهرة بعدم اهتمامها بما يقول "هنريش".

استطرد "هنريش":
ـ آنسة "فلورا".

ارتعدت "فلورا" ورفعت عينيها نحوه.
ـ إن الأمر الذي يزعج "الكونت" حقاً هو "انت"ـ وضغط على هذه الكلمةـ لعلمك الآن بوجود أخيه "جون دي لويس هام"
شعرت بأنه كان حريراً كل الحرص على أن تبقى جاهلة تماماً بهذا الموضوع.
استند "هنريش" إلى مقعدهـ. كانت "فلورا" معلقة تنتظر أن يكمل كلامه.

استطرد:
ـ آنسة "فلورا"ـ، هل لديك فكرة عن سبب حرص ابن عمك على الـ

الجميع كالسجناء. سالت نفسها إذا كانت تستطيع أن تغادر "لويس هام". في المواعظ يوجد شيء غير طبيعي. نظرت "فلورا" إلى الطاووس الذهبي كأنه وقع في فخ هو أيضاً. وبدت المقاعد كانها وجوه مجدها.

فقد كل شيء في "لويس هام" مظهره الإنساني. تحولت الكائنات إلى حيوانات. أصبح همها الأوحد الحافظة على كهفها في مأمن عن الأعداء. إذا بقيت ساعة أخرى في هذا المكان ربما تقع في سحر قصر "لويس هام" أو ربما يكون قد فات الأوان.

أسرعت "فلورا" خارج الصالون متوجهة إلى الخديقة. استنشقت - في ارتياح - هواء الصباح الخريفي. شعرت بأنها أكثر هدوءاً. خطت بعض الخطوات في الحشائش الرطبة. من بعيد، بدا القصر ببرجميه كالكابوس. زفرت "فلورا". قريراً سينتهي هذا الكابوس.

ستعود إلى ريف "كنت" وستقبل الحياة مع خالتها التي افترحت عليها أن تستقبلها لبعض الوقت. هناك ستحكى ضاحكة مخاوفها التي غلت في قلبها في قصر "لويس هام" ستتصف الكونت "لويس هام"، وابن عمه، وأخاه، سيأتي الجميع ليسمعواها بشغف.

شعرت "فلورا" بتحسن. اطمانت لفكرة رحيلها القريب وحياتها المختلفة كلية. كانت ترغب في أن تعتمد على نفسها لكنها ستتراجع وتقبل مساعدة خالتها مؤقتاً. وسترى ماذا ستفعل بعد ذلك. اتجهت "فلورا" إلى القصر لتجد "مايكيل". مرت بالقرب من الحشائش الطويلة في الجزء الشمالي ولكن لم تشعر باي خوف عند رويتها.

افتربت الساعة ودق قلب "فلورا" أكثر فأكثر لفكرة لقائها بـ "چيمس". ماذا تستطيع أن تأمل؟ لا شيء! لكن يجب أن تستفيد من هذه الفرصة وتخبره برحيلها وتحدث قليلاً عن مشروعات "مايكيل" للسفر إلى إيطاليا. وحاولت "فلورا" أن تسيطر على انفعالها لأن أجبرت نفسها على التفكير في أسئلة محددة ستطرحها على "چيمس". لكن بدون توقف كانت تمثل أمامها صورة "چيمس" ونظرته القوية وخصلات شعره الأشقر المصطف بعناية.

"چيمس دي لويس هام" يزيد رويتها. أخذ قلبها يدق بسرعة. ماذا يزيد منها إذن؟ ارتعشت "فلورا" عندما فكرت في المرات السابقة التي قابلته فيها وخرجت منها دائمًا كمسيرة وياتحة، حائرة بين رغبتها في رويتها والفتور الذي يعاملها به. هل سيحضر "هنريش" هذه المقابلة؟

أم أن الأمر استجواب؟ لماذا لم يصدر منها رد فعل عندما جذبها "چيمس" إليها؟ لماذا لم تتعثر عندما قبلتها؟ لماذا شعرت "فلورا" بأنها لا تستطيع التفكير. يجب أن تتوقف عن التفكير وإلا ستقودها هذه الحلقة الجهنمية من الأسئلة إلى حيث لا تستطيع أن تعود مثل "أورور" .

ازاحت عن رأسها هذه الفكرة بقوة. يجب أن تتوقف. هل ستتقابل هذا المساء مع قاتل؟ الذي سيستجوها عما تعرف؟ هل يفكر في أنها قد جاءت لتنتقم له؟ "أورور"؟

أم هل سيعترف... لا، مستحيل. أمسكت "فلورا" رأسها بيديها كأنها تريد أن توقف هذه الموجة من الأفكار التي لا تستطيع أن تسيطر عليها.

في هذه اللحظة تذكرت كل الشائعات التي سمعتها ولم تعرها انتباها عندما كانت في "كنت" لكنها قد عادت إليها الآن دون أن تشعر. هذه الحياة المنغلقة ليست طبيعية. كان الكونت "لويس هام" يحجب زوجته عن الانظار لأنها كانت جميلة جداً.

وفي "كنت" لم يعرف أحد بموت "أورور" لم يعرف أحد بمماتها إلا بعض المقربين وسكان "لينسون" وبعيداً عن هذه الحدود اعتقاد الجميع أن "أورور" على قيد الحياة.

على الرغم من إجهاد الفتاة استمر فكرها يعمل بطريقة ميكانيكية. "مايكيل" لا يخرج أبداً، "چون دي لويس هام" يعيش كالحيوان المتشوش في عرينه، "چيمس دي لويس هام" لا يخرج أبداً تقريباً... ماتت "أورور" دون أن يعلم أحد... هذا القريب "هنريش" الذي لا يعرف سوى السخرية.

فجأة تملكت "فلورا" رغبة في أن تهرب من هذا المكان الذي يحتجز

صعدت "فلورا" إلى غرفتها يائسة، وأرادت أن تستريح قبيل أن تواجه لقاء "چيمس". أخذت رواية (جان أوستن) التي كانت قد بدأتها منذ وقت قصير، ولكن تراقصت الأسطر أمام عينيها. لم تستطع القراءة. وقف بينها وبين صفحات الرواية وجه "چيمس". تارة يضحك، تارة يغضب وعيناه تلمعان من الغضب. زفرت "فلورا". لم يعد أمامها سوى أن تنزل إلى المطبخ وتنتظر "چوزيف" ليأخذها. تذكرت الليلة التي قدمت فيها عند أبواب قصر "لويس هام". لم تكن تعرف ما ينتظرها بداخله.

عندما فتح لها "چوزيف" بفتوره المعتمد، كان يعرف ويتوقع كل شيء هو وسيده "الكونت". وفي صباح اليوم التالي عندما عبرت المر المر الذي يصل الطرف الشرقي بالطرف الغربي من القصر تملكتها إحساس غريب بالخوف وعدم الارتياح. في هذا المساء لم تعد "فلورا" تشعر بأنها قوية أمام "چيمس" مثلما كانت في لقائهما الأول. على العكس شعرت بأنها لا حول لها ولا قوة أمامه لأنها لا تستطيع على الإطلاق أن تسيطر على دقات قلبها.

نزلت "فلورا" السلم الكبير في هدوء، رأت "چوزيف" ينتظرها. تسمرت "فلورا". لم يحتمن قلبها أن تستمر في النزول وأشار إليها "چوزيف":

- سيدتي "الكونت" ينتظركم.

- سلّكا المر الطويل التزرت "فلورا" بان تنظر أمامها مباشرة. بدون أن تشعر بشيء ما يجذب نظرها إلى صورة "أورور". هل ما زال في عينيها نفس نظرة اللوم؟ وجدت "فلورا" نظرتها غائبة. سالت نفسها فم تفكّر "أورور"؟. وجدت أن بداخلها مشاعر إنسانية تتحرّك تجاه هذه الصورة. ابتعد "چوزيف" كالمعتاد ليترك "فلورا" تدخل. كان "الكونت" ما زال شاحبا بعض الشيء، بدون شك أنه قد تعجب بسبب هذه النزهة الطويلة التي قام بها بعد مرضه. إن ملابسه السوداء أيضاً تزيد من شحوبه. لقد فقد بعض وزنه إلا أن لمعة عينيه التي رأتها "فلورا" عندما كان يهدي قد اختفت الآن. تذكرت لقاءهما الأخير. لم تحتمل أن تقف أمامه وهو ينظر إليها وكان شيئاً لم يحدث. هل نسي؟

لم تتوقع "فلورا" أن تجد منه أية إشارة لما بدر منه من خطأ. بادرها "الكونت":
- آنسة "لارك"، أثناء غيابي تعرفت شخصاً وددت لو بقى تجهلين وجوده. باختصار، ماذا تعرفين عنه؟
زفرت "فلورا". لقد أراد الكونتـ إذنـ أن يطرح عليهاـ ببساطةـ هذا السؤالـ وبعد ذلك يجب أن تذهبـ واجهت نظرته اللامباليةـ بالـ شديدـ وعميقـ فيـ نفسهاـ.

أجابت "فلورا":
- أعرف أن لك أخاً توانما اسمه "چون دي لويس هام" ويشبهك بدرجة كبيرةـ منـ المـكـنـ الخلـطـ بيـنـكـمـاـ بـسـهـولةـ.
عيـسـ وجـهـ "چـيمـسـ"ـ كـانـهـ يـنـتـظـرـ أنـ يـسـمـعـ شيئاـ آخرـ.
صمـتـ "فلورـاـ":
ـ سـالـهـاـ:

- لا شيء آخر؟
أجابت "فلورا":
ـ ماذا تقصد؟

حاولت أن تكتب وقتاً لتسعد بتأمل هذا الوجه الجميل ولتلعب بصير "الكونت" الذي بدأ يتلاشى.

فكرت "فلورا" على الفور: "لماذا يطرح عليَّ هذا السؤال؟ بالتأكيد قال له الدكتور "هنريش" بالفعل كل ما يرغب في أن يعرفه. بدت العصبية على "الكونت". خطط على مكتبه:
- فيم حدثك أنت شخصياً؟
ابتسمت "فلورا":

- إنه لم يحدثني بشكل شخصي فقط.
احمر وجه "الكونت": خرج من شعوره وخط سطح المكتب بقبضة يده:

- هل انتهيت من اللعب بي؟
تأملت "فلورا" هذا الرجل الغاضب وهو يحاول أن يهدئ نفسه. راقت

ـ لماذا تطلب مني أن أقول لك كلمات لست قادراً على تحملها.
لم يجب "الكونت" دهشأ لهذه الجرأة.

استطردت "فلورا" غير قادرة على السيطرة على افعالها:
ـ بالإضافة إلى أنك تجعلني أقول أشياء أنت تعرفها. لأن دكتور هنريش "أخبرك بها بالفعل. هل لكل ذلك معنى؟"
صممت وقد أتعبها كل هذا الغضب. كان الصمت ثقيلاً ومهدداً.
نهض "الكونت" فجأة وسار مباشرة نحو "فلورا" وجذبها بعنف إلى الباب ودفعها بقوه إلى الردهة. وأغلق الباب دون أن ينبع بكلمة.

مررت لحظة الدهشة، أرادت "فلورا" أن تستقيم لهذه الإهانة. فتحت باب المكتب كان "الكونت" يقطع الحجرة ذهاباً وعوده في عصبية كبيرة. لم ير "فلورا" على الفور.

ـ نسيت أن أخبرك أن ابنك "مايكيل" لديه الرغبة في السفر إلى إيطاليا ليتعلم اللغة والفن.

استطردت في سخرية:
ـ لا أعرف بماذا أتصحّك. لكن أفضل أن تسمع لهـ "مايكيل" بهذه الرحالة السعيدة، إنه يحتاج إلى أن يغر من الجو المسموم في قصر "لويس هام" لقد وعدته بأن أحدهم في هذا الموضوع بما أنه لا ترى ابنك مثلما تراني.

غضبت "فلورا" شفتها. لقد تماطلت. انبعث غضب شديد من نظره "الكونت"، الذي ظل لحظة في دهشة. يقينت "فلورا" في خوف ترقب رد فعله دون أن تحرّر على الحديث أو الحركة. ندمت على الكلمات التي تفوهت بها، ولكن قد فات الأوان. صاح "جيمس" صيحة ألم، صيحة حيوان محروم. تذكرةت "فلورا" هذه الصيحة التي سمعتها ذات ليلة في حجرة "أورور".

صاح "الكونت":
ـ اخرجي!

مضطـ "فلورا" على الفور. لم تستطع إلا أن ترى الكونت "جيمس دي لويس هام" ينهار على مقعده.

حركاته غير المنتظمة بهدوء تام. لاحظ "الكونت" ذلك فتوقف على الفور.

قرأت "فلورا" في عينيه الدهشة.

ردد:
ـ أريد أن أعرف ما قاله لك أخي، من تحدث معك؟

أخيراً قالت "فلورا" مظاهرة بالهدوء:
ـ حدثي عن "أورور":

في الحقيقة كانت تفحص وجه محدثها إنها هي نفسها، لا تستطيع أن تنطق هذا الاسم دون أن ترتعش. بدا على "الكونت" القلق. انتظر باقي حديث "فلورا" متباهاً، أرادت "فلورا" أن تستغل هذه اللحظة التي تبقي فيها الكونت تحت رحمتها تقريباً.

قالت:
ـ لقد تحدثت عن "أورور" وعنك.

لعت بعض قطرات العرق على جبين "جيمس". لم تستطع أن تحدد "فلورا" إذا كان هذا بسبب الحمى أم الخوف. فكرت من جديد: "على الرغم من ذلك إن كل ما ساقوله له يعرفه بالفعل" قررت "فلورا" أن تضع نهاية لهذا الموقف الذي يؤلمها. ستقول الحقيقة بكل ما استطاعت من هدوء:

ـ اتهمك "جون دي لويس هام" بأنك تسبيت عمداً في موت زوجتك "أورور دي لويس هام".

بدأ "جيمس" مهموماً ولكنه صاح:
ـ ما الذي يجعلك تحملين إلي؟ هنا استمري في الحديث، لم تعد لدى الرغبة في روبيتك.

شعرت "فلورا" بأنه قد جرحها بعنف.

قالت بخفاء:
ـ إنه أنت من استدعاني يا سيدي "الكونت" وانت الذي طلبت محادثتي.

راقبت وجه "الكونت" الذي تحول في هذه اللحظة إلى اللون الأحمر.

استطردت غاضبة:
ـ

الفصل التاسع

الذي كان بالنسبة لها بعيداً ولا يمكن التنبؤ بتصرفاته. على الرغم من ذلك لاحظت "فلورا" - في أسف - أن رؤيتها المستمرة لـ "الكونت" لم ت trespass على اضطرابها. كانت تنتظر لحظة العشاء بفارغ الصبر كان هذا هو الهدف من يومها والسبب الأصلي لوجودها في قصر "لويس هام". كانت تجلس إلى الطاولة الأربعية بمزيج من الخوف والامتنان. عندما يجلس "الكونت" كانت تنظر إليه وهو يلعب دور الضيف كأنها مشاهدة متهمة. شيئاً فشيئاً، بدا لها كأنه ينظر إليها وفي عينيه لمح حنان، وفي هذه اللحظة كانت تشعر باشتعال خديها.

ذات يوم صرحت لـ "إيلين" بما تشعر به من وحدة أثناء العشاء. قالت وهي توشك أن تبكي:

- لم أعد أتحمل هذا العشاء. بمجرد أن أراهما أشعر بخفة في حلقي ولا أستطيع الأكل، ويسارعان بملاحظة ذلك والبوج بتعليقات سخيفة. زفرت "إيلين":

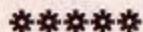
- الدكتور "هنريش" له أثر سبيء في "الكونت".

نظرت إلى "فلورا" - في أسف - قبل أن تستطرد وهي تهز رأسها:
- لقد كان كذلك دائماً.

شعرت "فلورا" بالغيظ. كانت متأكدة أن "إيلين" تردد كلمات قالتها لها "أوروور" وهي تشكو الدكتور "هنريش" لها هي "فلورا لارك" تبع طريق "أوروور" ومثلها تأتي لتشكو إلى "إيلين" الآخر السبيء الذي يتربكه دكتور "هنريش" في "چيمس". ندمت على البوج بمشاعرها لـ "إيلين".
أضافت:

- أعتقد أنه سيرحل قريباً.

لكن شعرت "فلورا" بأن هذا ما تمناه "إيلين" وليس خبراً مؤكداً.
اكتفت بهذا الأمل الفقير.



في المساء عندما صعدت إلى حجرتها استأنفت كتابة مشاعرها الكارهة لقصر "لويس هام" في كراسها. شيئاً فشيئاً بدأت تلقي مسؤولية هذا الجو

منذ اللقاء الصعب الذي جمع بين "الكونت" وـ "فلورا" والذي حملت "فلورا" ذكره الخفية استمرت الحياة في قصر "لويس هام" بالآية تثير السأم. قررت "فلورا" في النهاية أن تبقى قليلاً في القصر؟ لتكمل تعليم "مايكيل". أما "چيمس" فلم يعترض على سفر ابنه إلى إيطاليا وهي لا تعرف إذا كان ذلك لأنه غير مهم يستقبل ابنه أم لماذا. كان "هنريش" هو الوسيط في هذه المحادث الصعبة.

بدأ "چيمس دي لويس هام" تقليداً جديداً. لقد جاء منذ بضعة أيام ليتناول العشاء في حجرة الطعام السوداء برفقة ابن عمه "هنريش" وـ "فلورا". يبدو أن "چيمس" قد نسي تماماً الموقف العنيد الذي جمع بينه وبين "فلورا" كان يتحدث معها في رفق. أما "فلورا" فلم تستطع أن تنسى هذا الموقف. في كل مرة تعني لها رؤية "الكونت" جهداً كبيراً للسيطرة على انفعالاتها.

لكن شيئاً فشيئاً اعتادت هذه الرقة التي يحدوها بها "الكونت" وهدأت ذكرى ذلك الموقف الصعب قليلاً.

وعلى الرغم من ذلك فقد كانت "فلورا" تجد أحياناً ذلك الجو الثقيل الذي كان يخيم على العشاء أثناء وجود "چون دي لويس هام". أحياناً أخرى كان "چيمس" وـ "هنريش" يتحدثان معاً وتبقى هي بعيدة حتى يطلق أحدهما مزحة تصل إلى أعماق قلبها. وبصفة هان وبراسلان حديثهما دون أن يكترثا بها. "فلورا" متروكة لأفكارها تتحدث جسب مزاجهما، تفكك - في حنين - في الرقة التي يعاملها بها "الكونت" أحياناً. يبقى سؤال يعذبها؛ هل هي حقاً أمام قاتل؟

لم تكن تعرف شيئاً عن ذلك على الرغم من اقترانها داخلياً بأنه لا يمكن أن يكون قاتلاً. إنه عنيف حقاً ولكن أن يقتل! لم تجد "فلورا" إيجابة. على الرغم من ذلك كانت هناك فكرة ترضيها تماماً. هي التي لم تر "چيمس" إلا في ظروف درامية كيكة تستطيع الآن أن تتفحصه كل مساء كما يحلو لها. هذه الملاحظة اليومية جعلته أكثر قرباً منها، هذا الرجل

انتظرت "فلورا" في قلق. مازال "الكونت" صامتاً.
شرب مشروبها في جرعتين دون أن يبدو مقدراً لتنوعه الجيد. وضع كوبه
في هدوء، أصبح الجو ثقيلاً. تحنّج هنريش:

- "جيمس"؟

اهتز "الكونت":

ردد هنريش:

- "جيمس". لماذا لا تسمح لابنك بتناول وجباته معنا؟
تحول وجه "جيمس" فجأة. عبس مرة واحدة.

أجاب بصوت قاطع:

- لا تحدثني عن "مايكيل".

استمر هنريش في الابتسام. إنه يتقدم بحذر إلى الخطير. أصر في

سؤاله:

- لكن لماذا؟ على أية حال إنه ابنك!

دهشت "فلورا" لحديث هنريش الذي لم يبد قبل ذلك اهتماماً
بـ"مايكيل".

نظر هنريش إلى ابن عمه مبتسمًا.

ردد:

- لماذا؟

اكتفى "الكونت" بــأن أجراه بصوت أكثر هدوءاً:

- لا تحدثني عن "مايكيل".

تقدم هنريش نحو "جيمس".

حضرت "فلورا" المواجهة في صمت.

- هل تخاف من ابنك؟

سقط السؤال في صمت ثقيل.

لاحظت "فلورا" "جيمس". وجهه يكشف عن الــعميق. ونزاع

داخلي صارخ. زفر زفراً الــ عميق.

قال أخيراً بصوت جاف:

- "مايكيل" يرى أنني قاتل، مثلكم جميعاً.

الحانق على "هنريش فون ريتز" الــلم يكن سلوكه تجاهها دائماً غامضاً؟ بذلك
توصلت "فلورا" إلى أن "الكونت" سيبقى في ذهنها كائنًا خاصاً لا تشغله
المشكلات الإنسانية.

قال هنريش:

- لا تقولين شيئاً يا آنسة "فلورا"؟ إنك لا تقولين شيئاً دائماً.

شعرت "فلورا" بالإحراج.. نظر إليها "الكونت" في حدة.

أجاب بصوت مرتعش:

- ليس لدى ما أقول.

أخذ هنريش يضحك.

أجاب:

- لا اعتقاد ذلك- على العكس- لديك الكثير من الأشياء الشائقة التي

تقولينها لي.

نظرت إليه "فلورا" بمرتعش من الدهشة والقلق.

أضاف هنريش:

- لقد رأيت "مايكيل" اليوم. إنه لا يمل امتداحك.

توردت "فلورا" خجلاً. لم يثار "جيمس" عند سماع اسم "مايكيل".

نظر إلى طبقه في لامبالاة.

قال هنريش ملتفتاً إلى "الكونت":

- هل تعرف يا ابن عمي العزيز أن ابنك قد استعاد شجاعته وأنه لم يعد

متعباً ويتنزه في الحديقة؟

بدأ "جيمس" يأكل قطعة الجبن التي قدمت له، كان هادئاً. قالت

"فلورا" في نفسها: "الهدوء الذي يسبق العاصفة".

رفع "الكونت" عينيه نحو "فلورا" في لامبالاة كاملة.

تأملت "فلورا" ذلك.

أجاب ببساطة:

- أعرف.

- كما أخبرني منذ قليل أنه سيذهب إلى إيطاليا. إن الشمس ستفيده

كثيراً.

دي لويس هام ، و "هنريش فون ريتز" ، و "مايكيل" و "چيمس دي لويس هام" لتعرض لهم السبب الحقيقي لموت "أورور" ، لكن كيف تفعل؟ قررت "فلورا" أن الوسيلة الوحيدة هي أن تحصل على مفتاح غرفة "أورور" . ربما تجد الإجابة هناك. لكن من غير "چيمس" و "چوزيف" يحتفظ بالمفتاح؟ تذكرت "فلورا" تلك الأصوات التي أيقظتها. هل كان "چيمس" أم "چون" هو الذي يبحث عن شيء ما في غرفة "أورور" في قلب الليل؟ إذا كان "چون" فهذا يعني أن لديه هو أيضاً مفتاحاً.

فكرت "فلورا" في أنه لا يحتاج إلى ذلك بما أن هناك نفقاً يربط مباشرة بين غرفة "أورور" وحجرة الموسيقى بالحدائق. شيئاً فشيئاً باد الموقف أصعب. وإذا كان "چون" فلماذا سمعت أصوات أقدام على السلالم؟ أخذت نفس الأفكار تدور بدون توقف في رأس "فلورا" حتى غلبتها النوم. في الصباح الباكر استيقظت وهي تشعر بأنها ستصل إلى أهدافها. رؤيتها لوجه "چيمس" الحزين شجعتها على أن تبذل كل ما في قدرتها لتكشف عن الحقيقة. وإذا احتاجت لذلك فستذهب مقابلة "چون" دي لويس هام" وستدخل غرفة "أورور" من التفق. ارتعشت "فلورا" لفكرة ذهابها إلى حجرة الموسيقى التي يملؤها حضور "أورور" .

لن تحتمل كل هذه الصور وأغراض "أورور" التي لمستها بيديها. لكن يجب ذلك. من أجل "چيمس" هذه الفكرة قد أطعنتها الشجاعة. نزلت "فلورا" السلالم في فرحة وتوجهت إلى المطبخ لتناول الإفطار مع "إيلين" و "چوزيف" .

دهشت "إيلين" عندما رأت "فلورا" مبتسمة وهناتها على سعادتها. اكتفي "چوزيف" بان تمتن بعيارات التحية. ولكن لم تعره "فلورا" اهتماماً.

قالت "فلورا" في هدوء:

- "مايكيل" ، اشرح لي ما يدور بينك وبين والدك. نظر إليها "مايكيل" في دهشة. لم تطرح عليه "فلورا" أسئلة في هذا الموضوع فقط وهو لم يتمكن التطرق لذلك. ترددت "فلورا" كثيراً لكنها آثرت أن تحصل على توضيح مباشر من "مايكيل" قبل أن تذهب بتحقيقها

غادر الغرفة على الفور تاركاً "هنريش" و "فلورا" في ذهول. نهض "هنريش" دون أن ينبع بكلمة وخرج إلى الحديقة. بقيت "فلورا" بمفردها في غرفة الطعام. تاملت بقایا العشاء. في الضوء المرتعش للشمعدان بدأ الأشياء حية. نبضت بالحياة اللوحة التي تمثل غرق سفينة في إطارها الذهبي. تخيلت "فلورا" صوت الأمواج التي ترتطم بالصخور. وبدت لها السفينة تغرق شيئاً فشيئاً في أعماق البحر.

ووجدت "فلورا" نفسها في حالة غريبة... الكلمات التي تفوه بها "الكونت" قبل أن يخرج من الغرفة بقيت محمرة في ذاكرتها بقوة. قلبها يفيض بالعطف على هذا الرجل الذي أدرك الآن مدى عمق ألمه. الكونت يعيش في صراع عميق يحيطه أشخاص يحكمون عليه بأنه المسؤول عن موت "أورور". شعرت "فلورا" بالدموع تسيل على خديها لما تخيلته من معاناة هذا الرجل. عندما تفكير الآن تجد أنه من المستحبيل أن يقتل "چيمس" زوجته ولا حتى يتسبب في موتها.

لم تعرف "فلورا" من أين يأتيها هذا الإيمان. لقد لاحظت في نفس "چيمس" - على الرغم من قسوته الظاهرة - روح حساسة يأكلها الألم. ودت "فلورا" لو ذهبت إلى الجناح الغربي - حيث يلود "الكونت" - لتصرح له بأن هناك من يفهمه. لم تجرب على تنفيذ فكرتها. اكتفت بان فكرت في كلمات "هنريش" المليئة بالسخرية، تلك الطريقة التي تكرهها. بالتأكيد "هنريش" يعرف سبب هذه العلاقة الغربية بين "چيمس" وابنه. لقد أراد فقط أن يدفع ابن عميه للمصارحة بها وإهانته أمامها وهي المريضة. تذكرت "فلورا" في عطف شديد كلمات "الكونت": "مايكيل" يعتبرني قاتلاً، مثلكم جميعاً.. هذا يعني أنه يعتبرها مساوية لـ "هنريش" فون ريتز . هذه الملاحظة جعلت قلبها يشب. كانت "فلورا" متاكدة أنها تستطيع أن تساعد "الكونت" لثبت براءته من مقتل "أورور" .

نامت "فلورا" قليلاً في هذه الليلة. فكرت في الوسائل المختلفة التي تعرفها لتشتبث براءة "چيمس". لم يكن هذا بالأمر السهل إذ إنها لا تملك سوى اقتناعها. الذي يستند إلى شعور خاص بها وليس أكثر من ذلك. تصورت اليزم الذي مستدعى فيه إلى اجتماع فوق العادة يجمع بين "چون

بعيداً.

أجاب "مايكيل":

- أبي لا يهتم بي، وأنا لا أهتم به.

لاحظت "فلورا" نفس التحفظ الذي قابلها به عندما سالتها عن الحديقة.

الحق "فلورا":

- لكن يجب أن يكون لديك سبب لذلك.

سالت نفسها إذا كانت على صواب في أن تستدعي الماضي المؤلم في نفس الصبي الصغير:

- منذ متى واتسما على هذه الحال يا "مايكيل"؟ قبل موته والدتك كانت الحالة كما هي عليه؟

احمر وجه "مايكيل" بشدة. أدركت "فلورا" أنه يفكر إذا كان عليه الإجابة أم لا. نفس الصراع المؤلم الذي يمزق "الكونت" تاثرت "فلورا".

أجاب:

- قبل موته أبي لم يكن الأمر كذلك.

شعرت "فلورا" بأن الصبي لا يتحدث عن نفسه، ولكن في نفس الوقت لا يرفض الإجابة. عن أسئلتها:

- هل غضبت من والدك بعد موته والدتك؟

هز "مايكيل" رأسه. لمع عيناه بالكراءة.

قال فجأة:

- لقد قتلها.

- هل أنت متأكد.

نظر إليها "مايكيل" في دهشة ما أصاب "فلورا" بالاضطراب. هل لدىها الحق في تعذيب ذاكرة هذا الطفل؟ نهلت "فلورا" من آخر مصادر شجاعتها حتى تستكمل حديثها مع "مايكيل".

أخذت الكلمات التي استخدمها "هنريش" في مواجهة "چون":

- هل تعرف أن اتهامك هذا خطير يا "مايكيل"؟ هل لديك أدلة؟

نظر "مايكيل" إلى "فلورا" في جدية شديدة. تكلم في هدوء شديد. لم تستطع "فلورا" أن تمنع نفسها من الإعجاب برياطنة جااش "مايكيل".

ووجدت فيه تصميم "چيمس دي لويس هام" ولكن يجب أن تعرف بأن في ذلك ميزة خاصة لطفل في مثل سنه.

قال:

- سالت أمي فجأة، بدون سبب، كانت مريضة منذ فترة طويلة وتدهورت حالتها فجأة. وماتت خلال بضعة أيام.

فاطمته "فلورا":

- توجد أمراض تتطور على هذا النحو.

وأشار "مايكيل" نافياً: وقال في قوة:

- لا، لقد حرص والدي على إبعاد كل الأطباء.

أجاب "فلورا":

- هذه ليست براهين كافية.

خشيت أن يشير "مايكيل" إلى الكوب الذي وجدوه على الطاولة الصغيرة بينما لم تكن "أورور" تتناول أي دواء.

صاح "مايكيل":

- أليس هذه أدلة كافية؟ ما الحاجة إلى أكثر من ذلك؟

ماتت أمي بعد بضعة أيام من منع أبي للأطباء عن الدخول عليها.

تركته "فلورا" في انفعاله حتى هدا وقلت:

- لكن، ماذا فعل والدك لـ...

لم توافتها الشجاعة لتكمل الحديث. عبس وجه "مايكيل" وفكر ببعض دقائق:

- لست أدرى ولكنني متأكد أنه فعلها.

زفرت "فلورا" في ارتياح. إن اعتقادات "مايكيل" لا تستند إلى أي دليل. إنها مجرد تصورات، كما أنه لا يعرف بوجود الكوب الذي وضع فيه السم.

عند موته والدته لم يكن لدى "مايكيل" سوى ثمانين سنة حتى لو كان هذا الكوب موجوداً بالفعل فلم تكن هناك فرصة ليعرف ذلك. كل ما توصلت إليه "فلورا" هو أن شهادة "مايكيل" ليست لها قيمة كبيرة. "چون" دي لويس هام عقله مختل وربما تكون اتهاماته خيالية تماماً. ربما يكون

عينيهما الحائنيتين لا تخلوان من السحر.
شعرت "فلورا" باحمرار خديها. اضطررت إلى البقاء صامتة.
تفكر في أن مثل هذه الملاحظة لا تستحق الإجابة. لم يرق هذا الصمت
لـ"هنريش".

سالها خارجاً عن شعوره:

- هل تمنيتـما أمنية الصمت؟ يا لك من مضيق غريب يا "چيمس دي
لويس هام"! أنت لا تعتنـي بضمـوفـك.

بـدا أن "چيمـس" قد سمعـ في هذه المـرة. اكتـفى بـأن رفعـ كـتفـيهـ. وـجـدتـ
"فلورـا" أنهـ قد يـثورـ بعدـ قـليلـ.

أـحـابـ "چـيمـس"ـ أـخـيرـاـ نـاظـرـاـ إـلـىـ ابنـ عـمـهـ:

- وـضـمـيـوـفـيـ أـيـضـاـ غـرـيـاءـ لـاـ يـحـافـظـونـ عـلـىـ الـحـدـودـ:

- "چـيمـسـ دـيـ لوـيـسـ هـامـ"ـ يـتـحدـثـ عـنـ الـحـدـودـ؟
خـفـضـ صـوـتهـ وـهـوـ يـضـيفـ:

- يـوجـدـ هـنـاـ شـخـصـ يـؤـثـرـ فـيـ اـبـنـ عـمـيـ تـائـيـراـ وـاضـحـاـ،ـ إـنـيـ لـأـعـرـفـهـ
بـصـعـوبـيـةـ.

بــداـ أنـ "چـيمـسـ"ـ لـمـ يـفـهـمـ هـذـاـ التـلـمـيـحـ.ـ شـعـرـتـ "ـفـلـورـاـ"ـ بــعـدـ الـارتـياـحـ؛ـ
أـرـادـتـ أـنـ تـخـفـيـ منـ هـذـهـ الـغـرـفـةـ عـلـىـ الغـورـ.

سـأـلـ "چـيمـسـ"ـ كـانـهـ خـارـجـ مـنـ حـلـمـ:

- ماـذاـ تـقـصـدـ؟

ازـدادـ اـحـمـارـ "ـفـلـورـاـ".

- أـقـصـدـ أـنـ الشـخـصـيـةـ الـتـيـ عـلـىـ يـسـارـيـ (ـوـأـشـارـ إـلـىـ "ـفـلـورـاـ"ـ بــيـدهـ)
ليـسـ غـرـيـبةـ عـلـىـ تـحـفـظـكـ.

وـثـبـ قـلـبـ "ـفـلـورـاـ"ـ فـيـ صـدـرـهـ.

قالـتـ:

- أـنـاـ لـأـ أـسـمحـ لـكـ...ـ

قـاطـعـهـاـ "ـهـنـريـشـ":

- آـنـسـةـ "ـلـارـكـ"ـ أـرـجـوكـ.ـ مـنـذـ وـقـتـ طـوـيلـ أـعـرـفـ حـقـيـقـةـ مشـاعـرـكـ تـجـاهـ اـبـنـ
عـمـيـ.

هـذـاـ الكـوـبـ قـدـ رـآـهـ فـيـ إـحـدىـ هـلـوـسـاتـهـ.ـ وـهـيـ "ـفـلـورـاـ"ـ لـدـيـهـاـ إـيمـانـ تـامـ
بــاـنـ "ـجـيمـسـ"ـ بــرـيءـ مـنـ هـذـاـ الـأـنـهـاـمـ.

قرـرـتـ "ـفـلـورـاـ"ـ أـلـاـ تـنـابـعـ الـحـدـيـثـ فـيـ هـذـاـ الـمـوـضـوعـ.ـ يـكـفـيـ مـاـ أـثـارـتـهـ مـنـ
الـمـ فـيـ نـفـسـ الصـبـيـ الصـغـيرـ.ـ تـمـتـ دـاخـلـيـاـ.ـ لـوـ يـعـفـوـ عـنـهـ "ـمـايـكـلـ"ـ لـمـ
سـبـبـتـهـ لـهـ مـنـ الـمـ دـوـلـ طـالـيـ.ـ وـلـكـنـهـ فـكـرـتـ فـيـ الـيـوـمـ الـذـيـ سـتـسـتـطـعـ فـيـهـ
أـنـ تـخـبـرـهـ بــاـنـهـ لـيـسـ عـلـيـهـ أـنـ يـخـجلـ مـنـ هـذـاـ الـأـبـ الـذـيـ يـشـبـهـ كـثـيرـاـ.ـ فـيـ
ذـلـكـ الـيـوـمـ سـيـفـهـمـ "ـمـايـكـلـ".

كـانـ باـقـيـ الـيـوـمـ كـعـيـباـ.ـ خـمـنـتـ "ـفـلـورـاـ"ـ أـنـ أـفـكـارـ "ـمـايـكـلـ"ـ تـدـورـ بــدـوـنـ
تـوقـفـ حـولـ "ـأـورـورـ".ـ لـعـتـ عـيـنـاهـ بــالـدـمـوـعـ إـلـاـ أـنـ مـسـحـهـاـ بــشـجـاعـةـ بــطـرـفـ
كـمـهـ...ـ

أـنـاءـ وـجـةـ الـعـشـاءـ لـمـ تـكـفـ "ـفـلـورـاـ"ـ عـنـ مـتـابـعـةـ "ـجـيمـسـ"ـ الـذـيـ بــقـيـ
عـابـسـاـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ كـلـ مـحاـواـلـاتـ "ـهـنـريـشـ"ـ لـفـكـ هـذـاـ الـعـبـوسـ الـذـيـ دـخـلـ
بــهـ الـغـرـفـةـ.ـ أـكـلـ دـوـنـ أـنـ يـنـبـسـ بــكـلـمـةـ.ـ بــاءـتـ كـلـ مـحاـواـلـاتـ "ـهـنـريـشـ"ـ
بــالـفـشـلـ فـيـ ظـلـ هـذـاـ الجـوـ الشـقـيلـ،ـ كـذـلـكـ حـاـوـلـ عـقـدـ الـحـدـيـثـ بــمـسـاعـدـةـ
"ـفـلـورـاـ".ـ وـلـكـنـهـ أـبـدـىـ تـحـفـظـهـ تـامـاـ مـثـلـ "ـكـوـنـتـ".ـ شـعـرـتـ بــانـ هـذـاـ
الـصـمـتـ الـمـشـتـرـكـ بــيـنـهـمـ يـخـلـقـ تـوـعاـ مـنـ التـواـطـؤـ بــيـنـهـمـ لـاـ يـرـيدـانـ كـسـرـهـ.
بــالـإـضـافـةـ إـلـىـ أـنـهـاـ لـمـ تـنـسـ مـعـالـمـ "ـهـنـريـشـ"ـ الـمـطاـوـلـةـ سـوـاءـ فـيـ وـجـودـ "ـچـونـ"
أـوـ أـخـيـهـ "ـچـيمـسـ".

ادرـكـ "ـهـنـريـشـ"ـ أـنـ هـنـاكـ شـيـئـاـ غـيرـ طـبـيعـيـ.ـ التـوـافـقـ الـذـيـ خـلـقـهـ بــيـنـهـ وـبــيـنـ
أـخـيـهـ بــدـاـ يـنـحـلـ بــيـنـهـمـ بــدـاـ يـنـمـوـ اـخـادـ خـفـيـ بــيـنـ "ـچـيمـسـ"ـ وـفـلـورـاـ.ـ وـهـذـاـ مـاـ
لـمـ يـرقـ لـ "ـهـنـريـشـ"ـ وـلـاحـظـتـ "ـفـلـورـاـ"ـ ذـلـكـ عـلـىـ وـجـهـهـ.ـ قـالـ "ـهـنـريـشـ"ـ
مـتـظـاهـرـاـ بــالـمـلـاحـ وـعـيـنـاهـ تـكـشـفـانـ عـنـ الغـيـظـ.

- أـنـثـاـ الـاثـنـانـ لـاـ تـمـيـلـانـ الـيـوـمـ لـلـحـدـيـثـ.

لمـ يـعـلـقـ "ـكـوـنـتـ"ـ عـلـىـ هـذـاـ الـمـلـاحـةـ.ـ وـلـاـذـ "ـفـلـورـاـ"ـ بــالـصـمـتـ...ـ

اـكـتـفـتـ بــانـ رـفـعـتـ عـيـنـيهـاـ نـحـوـ "ـچـيمـسـ"ـ الـذـيـ بــداـ غـائـبـاـ تـامـاـ.ـ تـمـنـتـ

"ـفـلـورـاـ"ـ لـوـ قـرـأـتـ أـفـكـارـهـ.ـ إـنـ "ـچـيمـسـ"ـ جـذـابـ حـتـىـ وـهـوـ حـزـينـ.

استـطـرـدـ "ـهـنـريـشـ"ـ:

- "ـچـيمـسـ"ـ،ـ يـجـبـ أـنـ تـنـظـرـ مـنـ آـنـ إـلـىـ آـخـرـ إـلـىـ الـآنـسـةـ "ـلـارـكـ"ـ إـنـ

الفصل العاشر

قضت "فلورا" الأيام التالية في قصر "لويس هام" في حالة من الإثارة لم تصل إليها قبل ذلك. كانت تنتظر في الوقت نفسه رحيل "هنريش" ورددت أفعال "چيمس" التي تراقبها في صمت في كل وجبة، أرادت - قبل كل شيء - أن تنفذ مشروعها بزيارة "چون" في حجرة الموسيقى بالحدائق. اختارت أحد الأيام بعد الظهر لتنفذ ذلك حيث كان "الكونت" غائباً. أما "مايكيل" فقد أعرّب عن رغبته في قضاء اليوم بمفرده في الغابة ليفكر في رحلته القادمة إلى إيطاليا. وجدت "فلورا" نفسها - إذن - بمفردها فقررت أن تتجه إلى حجرة الموسيقى.

لم تكن الرحلة سهلة. كانت تجهل مدخل ومخرج النفق الذي حفر تحت القصر، فضلت "فلورا" أن تحاول أن تشق طريقاً لها بين الحشائش العالية التي ثُمت بعد موت "أورور". في بداية رحلتها التفتت "فلورا" خلفها واستطاعت أن ترى الواجهة الشمالية للقصر، تلك الواجهة التي لم تعجبها لأنها تطل على الحشائش العالية التي تخترقها الآن بين القروع والأشواك. مازال أحد الإبراج العالية ظاهراً. الآن لم يعد القصر سوى ذكرى وأصبح الطريق أكثر صعوبة وسط الحشائش التي أصبحت أكثر كثافة. لاحظت "فلورا" وجود بقايا الممر الذي كانت تستخدمه "أورور" أثناء نزهاتها، وشعرت بالارتياح عندما استنتجت أنها تسير في الطريق الصحيح نحو حجرة الموسيقى. سارت "فلورا" منحنية وشعرت أكثر من مرة بوخز الأشواك في وجهها وذراعيها.

أخيراً خرجت "فلورا" من هذا الطريق الصعب واستطاعت أن تنتصب. الآن أصبحت حجرة الموسيقى واضحة أمامها في ضوء شمس الخريف. نظرت "فلورا" إلى ذراعها اليمنى التي كانت تؤلّها بعض الشيء، إن بها خدشاً أكثر عمقاً من الخدوش الأخرى قالت لنفسها: "لا يهم"، ليس من المعقول أن تقابل "چون" دي لويس هام" في كامل أناقتها وقد عبرت توا هذه الغابة من الحشائش ذات الأشواك. رفعت كتفيها. هذا التفكير ليس له أي معنى. إن "چون" لم يعر مظاهرها أي اهتمام، زفرت "فلورا"، ولا

نظر "چيمس" إلى ابن عمه في دهشة. كانت "فلورا" في قمة الغضب.
قالت مخاطبة "الكونت":
- ميدي "الكونت" أخبره أن...
قال "چيمس" في برود:
- لماذا أخبره؟
كانت "فلورا" توشك أن تبكي. العالم ينهار أمام عينيها.
- أخبره...
ماتت الكلمات فوق شفتيها.. لم تستطع أن تضيف:

"أخبره أنتي لا أحبك. إنه طلب سخيف كما إنها كلمات كاذبة. شعرت "فلورا" بالأسى؛ إنها تتعرض - وليس للمرة الأولى - لإهانة كبيرة.
تأمل "هنريش" فعلته في سعادة.

قال "الكونت" في برود:
- "هنريش": أرى تصرفاتك لا تليق برجل من طبقتك. إنني أطلب منك نتيجة لذلك: أن تسحب ما قلته أو أن ترك قصر "لويس هام".
نظر "هنريش" إلى ابن عمه في حيرة. لقد حدثه كأنه شخص غريب.

أجاب بنفس البرود:
- لن أسحب شيئاً وسأرحل على الفور. إن الهواء في "لويس هام" لا يمكن استنشاقه.
خفض "چيمس" رأسه وقال:
- وإنما سعيد بذلك.

التفت نحو "فلورا" التي بقيت صامتة.
- آنسة "فلورا" أرجو أن تقبل الاعتذار عن كلمات ابن عمي الدكتور "هنريش" إنه لا يعرف تقدير كلماته.
أومأت "فلورا" برأسها. إن كلمات "الكونت" واللطف الذي تحدث به كانا بالنسبة لها أكبر مكافأة.

زاد شعورها بالارتباك. كانت مقابلته أكثر جموداً مما توقعت.
أجابت مبتسمة:
ـ أردت أن أراك.

نظر "جون" في دهشة إلى هذه الفتاة الشابة التي تمزق "فستانها" الرمادي بفعل الأشواك التي عبرت خلالها وأدخلتها.
شعرت "فلورا" بأنها تدخل إلى مذبح كنيسة.

كما أخبرها هنريش فون ريتز بأن الحجرة التي دخلتها لا تحتوي سوى على وجود "أوروور"، على الموائط. علق "جون" حوالي عشر لوحات كلها تمثل السيدة الشابة في أوضاع مختلفة:

"أوروور" في ثوب أزرق يتوافق تماماً مع نظرتها الحانية. "أوروور" جالسة على مقعد في الصالون الأخضر تنظر عبر نوافذها الكبيرة في اتجاه الحديقة، "أوروور" في ميدالية تختلف قليلاً عن الميدالية التي شاهدتها في الردهة الطويلة. "أوروور" في كل مكان... شعرت "فلورا" بأنها مأسورة بجمال هذه السيدة التي استطاعت أن تبهر "چيمس دي لويس هام" وكذلك أخيه "جون". فكرت "فلورا" في ذلك بشيء من الإعجاب والغيرة.

تذكرت كلمات "إيلين" التي تتحدث عن "أوروور" دائماً باحترام وحب. في عينيها كانت "الكونتيessa" متفرقة على الكونت "چيمس دي لويس هام" سالت "فلورا" نفسها: ماذا كان شعور "جوزيف" تجاه "الكونتيessa"؟
تبع "جون" "فلورا" دون أن يتبس بكلمة.

ثم قال:
ـ هذه "أوروور دي لويس هام".

همس مفكراً:

ـ أنت تتأملينها أليس كذلك؟ إنها جميلة جميلة جداً لو تعلمين. لقد تفوقت على الجميع. بمجرد أن تدخل في مكان لا يرى غيرها...
إن تحسس "جون" لـ"الكونتيessa" لا يضاهيه شيء.

نظر إلى "فلورا" بغرابة:
ـ عيناك سوداوان وعلى الرغم من ذلك فأنت تشبهينها قليلاً.
ارتعشت "فلورا". الكونت "چيمس دي لويس هام" نفسه عاملها ذات

حتى "چيمس دي لويس هام" لم يقدر قط عنایتها بانتقاء فساتينها لحضور وجبات العشاء كل مساء...
كانت حجرة الموسيقى من طراز أكثر حداثة من القصر إذ كان قصر "لويس هام" قلعة كبيرة من العصور الوسطى - خلال - عهد الملكة إليزابيث الكبرى - يحمل علامات التاريخ على كل حجر من أحجاره. وجدت "فلورا" أن حجرة الموسيقى توزخ ليس أبعد من بداية القرن الثامن عشر. الأحجار بيضاء... انتهت "فلورا" إلى أنها لم تلاحظ - من الولهة الأولى - طبيعة الغرفة الفخمة. إنها تشبه تقليداً للطراز قصر "فرساي" الذي استطاعت "فلورا" أن تشاهده في فرنسا.

لم تجرؤ "فلورا" على الدخول، ترددت، هل رآها "جون" من النافذة؟
شعرت بأن هذا المكان مازال يحمل شيئاً من وجود "أوروور" أكثر من قصر "لويس هام" نفسه. تخيلت "فلورا" دون مجده "أوروور" وهي تدخل حجرة الموسيقى. وهي تلبس فستانها طويلاً وتمسك مظلة في يدها. كان تخيلها كانه حقيقة. ماذا تفعل هي "فلورا لارك" في هذا المكان وهي تحاول التقبّب في تاريخ "لويس هام"؟ شعرت بأن وجودها في هذا المكان ليس إلا وجوداً مؤقتاً، وأنه لا يوجد شيء يربطها بعائلة "لويس هام"، لا شيء سوى هذا الحب الغريب الذي نشأ منذ اليوم الأول لهذا القصر الغامض وكذلك تجاه الكونت "دي لويس هام" نفسه.

طرقت باب الحجرة وقلبتها يدق بشدة. لم تكن لديها أية فكرة عما سيقوله "جون دي لويس هام" عندما سيفتح الباب، ولا عن الطريقة التي سيسبقها بها.

ظهر "جون دي لويس هام" عند الباب أشعث الشعر. يبدو أنه ليس ملابسه البيضاء في عجلة. لابد أنه كان نائماً.. شعرت بالإخراج، ولكنها تقدمت.

قالت في تردد:
ـ سيد "جون" ، أنا الآنسة "فلورا لارك" مربية "مايكيل".

أجابها:
ـ أعرف ذلك. ماذا تريدين مني، وكيف بالله وصلت إلى هنا؟

مرة على أنها "أورور". أزاحت هذه الذكرى عن تفكيرها بسرعة. إنها لا تفهم هذا الشبه الذي يلاحظه الجميع ويدركها به. نظرت إلى صورة "أورور". لا، إنها لا تجد شيئاً مشتركاً بينها وبين هذه السيدة ذات النظرة الح猩ة.

قالت "چون" فجأة:

ـ ماذا تريدين مني؟

بحثت "فلورا" عن إجابة تبدو طبيعية. اتجهت إلى أن وجودها قد يكون غامضاً أو غير مفهوم بالنسبة لـ "چون دي لويس هام".

قالت في تردد:

ـ أردت أن أتحدث عن "أورور" معك.
بدت دهشة كبيرة على وجه "چون".

ردد:

ـ تتحدثين عن "أورور" مع؟

استغلت "فلورا" عدم فهمه ل تستطرد:

ـ نعم. "مايكيل" يحدثنى كثيراً عن أمها.

قالت ذلك وهي تدعوهـ في سرهاـ أن يغفر لها "مايكيل" هذه الكذبة.

ـ ويحكي لي أشياء غريبة حقاً أردت أن أعرف إذا كانت حقيقة أم بعيدة عن الواقع.

نظرت "فلورا" إلى وجه "چون" الذي يقى بدون أي تعبير ورأى أن تستمر في الحديث. قالت مبتسمة:

ـ سيدى "الكونت" لا يميل إلى الحديث. فكرت في أنك تستطيع موافاتي بالمعلومات، لهذا جئت لرؤيتك.

ـ خفضت "فلورا" صوتها وقالت:

ـ وطبعاً هذا سر.

شعرت بالرضا عندما رأت أنها أيقظت فضول "چون" عندما أضفت على زيارتها مظهر السرية.

قال "چون":

ـ فكرتك غريبة ولكنها تروق لي. ماذا تريدين أن تعرفي؟

ـ فكرت "فلورا" لحظة.. خطتها أن تقودـ شيئاً فشيئاًـ "چون" إلى فكرة أنه لابد أن يطلعها على غرفة "أورور"، لكن كيف تفعل ذلك؟

ـ أجابت دون أن تعرف ما الذي سيتبع ذلك.

ـ حسن، حدثني "مايكيل" عن والدته خاصة عندما كانت مريضة. إنه يذكرها جيداً في ذلك الوقت.

ـ قاطعها "چون":

ـ لقد عرف "مايكيل" أنه مريضة دائمة.

ـ لاحظت "فلورا"ـ في ارتياحـ أنه ربما لن يكون عليها سوى أن تترك "چون" يتحدث لتصل إلى أهدافها.

ـ ماذا يحكى؟

ـ انخرطت "فلورا"ـ على الغور في رواية غير متوقعة:

ـ يحكى أنه ذات يومـ عندما كان في غرفة والدتهـ رأى عصفوراً يقف على حافة النافذةـ لم ترهـ "الكونتيسة"ـ ولكن لفتـ "مايكيل"ـ نظرها إليهـ ويعجزـ أن التفتـ إليهـ والدتهـ أكدـ لهـ "مايكيل"ـ أن العصفورـ غيرـ لونـهـ منـ الأسودـ إلىـ الأبيضـ،ـ انتظـرتـ "فلورا"ـ فيـ قلقـ ردـ فعلـ "چون"ـ الذيـ بداـ متائراًـ.

ـ قال:

ـ هذه الرواية يجب أن تكون حقيقة ورمزية. "أورور" تحول كل ما تنظر إليه أو تلمسهـ الموسيقىـ التيـ كانتـ تعزفـهاـ تتحولـ إلىـ سحرـ حقيقيـ.

ـ كانـ "چون"ـ يتحدثـ كانـهـ ينتظرـ "أورور"ـ أن تعودـ فيـ لحظـةـ وأخـرىـ.ـ اعتـقدـتـ "فلورـاـ"ـ أنهـ يـشعرـ بـوجودـهاـ فـعلاـ.ـ شـعرـتـ بشـفـقةـ كـبـيرـةـ تـجـاهـ هـذـاـ الرـجـلـ الـذـيـ مـازـالـ يـحـيـاـ لـينـقـدـ حـبـاـ لـأـمـ لـهـ.ـ أـسـفـتـ عـلـىـ آنـ "ـجيـمـسـ"ـ لـيـعـلـكـ نـفـسـ أـحـاسـيـسـ أـخـيـهـ،ـ تـلـكـهاـ شـكـ كـبـيرـ.ـ مـاـذـاـ لـوـ كـانـ.ـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ كـلـ مـاـ تـفـكـرـ فـيـهـ.ـ قـدـ تـسـبـ "ـجيـمـسـ"ـ فـيـ مـوـتـ "ـأورورـ"ـ؟ـ غـضـبـتـ "ـفلـورـاـ"ـ كـثـيرـاـ مـنـ نـفـسـهـاـ لـهـذـهـ الـفـكـرـةـ.ـ عـادـ "ـچـونـ"ـ إـلـىـ نـفـسـهـ شـيـئـاـ فـشـيـئـاـ.

ـ قال بصوت متكسر من شدة العاطفة:

ـ أـحـتـاجـ إـلـىـ وـجـودـهـ.ـ لـوـ تـعـرـفـنـ...ـ لـكـنـكـ لـنـ تـسـطـعـيـ أـنـ تـفـهـمـيـ.

"فلورا" أن تخيل المنظر فوقها. بدون شك أنها يعبران تحت الحشائش العالية التي اخترقتها منذ قليل.

شعرت "فلورا" بوجود "أورور" حتى في النفق. لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تفك في أن يوماً ما كانت "أورور" تسلك نفس الطريق للذهاب إلى حجرة الموسيقى. ربما كان "جون" ينتظرها... ارتعشت "فلورا". بدأ رطوبة المكان تصل إلى عظامها. تابع "جون" في صمت سيره، غير عاليٍّ. سالت "فلورا" نفسها إذا كان ما زال متذكرة وجودها معه. إنه لم يلتفت وراءه مرة واحدة، لم ينطع بكلمة واحدة منذ بداية عبورهما النفق. لاحظت وجود نسيج العنكبوت، هذا يعني أن هذا المر لا يستخدم غالباً.

أخيراً وصلاً. شعرت "فلورا" بارتياح شديد عندما رأت الباب يفتح. أبهر عينيها شعاع الشمس. دخلت "فلورا" حجرة "أورور" وقد أعمى الضوء عينيها اللتين اعتادتا الظلام. التفت "جون" إليها، قال بصوت حاد:

- أنت الآن في غرفة الكونتيسة "أورور دي لويس هام".

نظرت "فلورا" حولها متأثرة بان توجد في الغرفة التي ظلماً تخيلتها. كان لون الحوائط أخضر فاتحاً يتوافق مع اللون النادر لعيدي "أورور". لون ستائر القطيفة الثقيلة أخضر غامق. نفس لون غطاء السرير الأبنوس ذي الأعمدة، الدلوب من الأبنوس أيضاً. اكتشفت "فلورا" - بالقرب من النافذة - مكتباً صغيراً من الأبنوس المطعم بالعاج. ينبعث من هذه الغرفة هيبة - إلى حد ما - تراجيدية. أعلى السرير صورتان كان كلاًًا منها تنظر للآخر. صورة "أورور" و"جيمس". لأول مرة رأت "فلورا" ابتسامة مشرقة تضيء وجه "أورور". بدت أكثر جمالاً وأكثر سعادة.

استطاعت بصعوبة أن تصرف انتباها عن تأمل الصورتين اللتين بدوا تماهياً تبادلان الابتسامة. شعرت "فلورا" بأنها دخلة على هذه الغرفة حيث تبدو الحوائط العارية نفسها كانها تحمل علامات وجود "أورور". رغم أنها بحثت عيناهما عن الكوب الذي كان يحمل السم طبقاً لرواية "جون". وكان شيئاً لم يتغير في الغرفة منذ موٌت "أورور". لكن لم يكن هناك كوب. شعرت "فلورا" بخيالية أهل. كان صوت

أنت لا تعرفينها.. لا تعرفين معنى أن تحبي شخصاً ما بشغف.

شعرت "فلورا" بمرارة بكلمات "جون".

قالت في لطف:

- جئت لكِ أفهم، لكِ أعرف الحياة في قصر "لويس هام" وقت حياة "الكونتيسة"، وهذا من أجل "مايكل".

شعرت "فلورا" بعدم الارتياب ولكن لم يستشعر "جون" شيئاً من اضطرابها. بما أنه هو نفسه قد تملكته عاطفة لا يستطيع أن يسيطر عليها.

همس:

- هكذا تريدين أن تعرفيها... سأطلعك على حجرتها.

عند هذه الكلمات شعرت "فلورا" بأن قلبها يدق بشدة. خطتها أوشكت أن تنبع. شاهدت "جون" يتجه لإحضار مفتاح حجرة "أورور" وهي تشعر بأنها قد وصلت إلى هدفها. في نفس الوقت لامت نفسها، لأنها استغلت حزن "جون دي لويس هام" في تحقيق أهداف شخصية وأنانية.

ماذا تريدين سوى راحة نفسها؟ كانت "فلورا" تعرف أنها تكذب على نفسها. إنها تبحث عن ذلك اليوم الذي ستعلن فيه للجميع في الصالون الأخضر:

«إني أعرف أن سيدي الكونت "جيمس دي لويس هام" لم يقتل سيديتي الكونتيسة "أورور".

عاد "جون". أشار إلى "فلورا" بأن تتبعه.. كان قد ارتدى بدلة سوداء وصفف شعره. ومن جديد أدهشها تشابهه مع الكونت.

كانت الحجرة الأخرى أصغر. إنها المكان الذي ينام فيه "جون". في مواجهة سريره ذي الأعمدة من خشب الأبنوس مثل سرير الكونت، كانت توجد مكتبة، أدارها.

خلفها ظهر ممر طويل. أعطى "جون" شمعدان لـ"فلورا" وسلك الاثنان الممر المظلم. سار "جون" في بطء. تبعته "فلورا" في حذر.

كان الضوء ضعيفاً، وكان يجب أن ينحنيا ليتقىداً بما أن السقف كان منخفضاً. كان النفق يتبع طريقاً معقداً وبه منعطفات واسعة. حاولت

ـ "چون". قامت بمحاولة أخيرة:
ـ أعتقد أنني سمعت الكوتنيسة "أورور" كان ذلك ذات ليلة عندما
أيقطنتي أصوات اعتقدت أنها غير طبيعية، إنني أنام في الغرفة التي تعلو
هذه الغرفة.

قال "چون" بصوت حالم:
ـ أوه! الغرفة الوردية.
ـ أذعنت "فلورا".

عاد "چون" إلى صمته الكثيف. أدركت "فلورا" أنه لا يحب أن تصرف
في الأمل. القت نظرةأخيرة على الغرفة التي قد لا تراها مرة أخرى
بالتأكيد. احتفظت بذكرى هذه المجرة الخزينة التي يغلب عليها حضور
صاحبتها الراحلة "أورور".

آخر "چون" المفتاح من جيب بدنته السوداء، وفتح الباب أمام
ـ "فلورا" .. ابتعد وحياتها يادب جم.
سالته في دهشة:

ـ ألن تأتي؟
ـ نعم، لن آتي، سأبقى قليلاً، وسأعود من خلال التفق، أفضل ذلك.
كان آخر صورة احتفظت بها "فلورا" لـ "چون" صورة رجل غارق في
حزنه العميق ولا يستطيع شيء أن ينقذه منه.

الفصل الحادي عشر

باتت زيارة غرفة "أورور" بالفشل. لم تعرف "فلورا" شيئاً أكثر مما
تعرف بالفعل. وتبدد أملاها في الكشف عن سر عائلة "لويس هام".
تذكرت "لورا" الكلمات القاسية التي وجهها إليها الكوتن في عنف. لا
شيء مما يدور في القصر يجب أن يثير اهتمامها، إنها ليست سوى غريبة.
إذا كان "چون دي لويس هام" قد سمح لها بالدخول في غرفة "أورور"
فذلك لأنه ليس سوى مجنون أصحابه الهوس بوجود الكوتنيسة.
استعادت "لورا" أفكارها في حزن. من الآن فصاعداً لا شيء يربطها

ـ هنا، رأيتها دون أنلاحظ دخولها كانت ترتدي فستانًا أبيض طويلاً
جداً، كانه يطير في الهواء. تحدثنا قليلاً. كانت الغرفة غارقة في ضوء
سحري، أكثر بياضاً وصفاء من ضوء القمر.
نظر "چون" إلى الشمس التي غمرت الحديقة الممتدة على مرمى البصر.
زفر في عمق، أدركت "فلورا" في هذه اللحظة مدى التمزق الذي شعر به
ـ "چون" عندما غادر هذا القصر.

استطرد وعياه تلمعان بالدموع:
ـ قالت لي "أورور" إن هذا هو آخر لقاء بيننا. لكنني لم استطع أن
أصدقها. اختفت قبل أن استطع أن أطرح عليها سؤالاً، لكنني متتأكد أنها
ستنقابل. عندما تركتني كنت يائساً للغاية.
سالت "فلورا" نفسها: إذا كان قد أصيب في تلك اللحظة بالشورة
العارمة التي تنتفع عنها الأصوات التي سمعتها تلك الليلة....
استعاد "چون" هدوءه. إنه يتأمل الآن صورة "أورور" بعين شاردة كأنه
نائم.

في تلك الأثناء كانت "فلورا" تبحث عن وسيلة لاستكمال تنفيذ
خطتها؛ لذلك، أرادت أن تكون بمفردها في الغرفة، ربما يحتوي هذا
المكتب الصغير على رسائل أو يوميات كتبت فيها "أورور" مخاوفها
وشكوكها. نظرت "فلورا" إلى المكتب كانها ت يريد أن تخترقه لتعرف ما به
من أسرار.

قالت مخاطبة "چون":
ـ أعتقد أن هذا المكان خاو الآن.
بدا "چون" كأنه قد استيقظ من حلم:
ـ هذا المكتب؟! أنت مخطئة، إن كل شيء كما كان قبل موت
ـ "أورور". أخذت بعض خطاباتها ولكنباقي مازال بالمكتب....
نظر "چون" حوله كانه يتتأكد من أنه لا يوجد شخص آخر في الغرفة،
وقال:
ـ لقد فقد المفتاح. أخذته... حتى لا يعرف أحد أبداً...
سالت "فلورا" نفسها: لا يعرف أحد أبداً ماذا؟!... ولكن صمت

ـ ماذا تريـد؟

ـ أجابها بصوت أحـجـش:
ـ تعالىـيـ. اتـبعـيـ.

ـ نظرـتـ إـلـيـهـ "ـفـلـورـاـ"ـ دونـ أنـ تـفـهـمـ. تـعـجلـ وـأـمـسـكـ بـذـرـاعـهـاـ لـيـخـرـجـهـاـ منـ سـرـيرـهـاـ. قـاـوـمـهـ "ـفـلـورـاـ".

ـ قـالـتـ:

ـ دـعـنـيـ... سـاتـيـ. اـتـرـكـ لـيـ الـوقـتـ لـأـرـتـديـ مـلـابـسـيـ.
ـ أـجـابـ فـيـ سـخـرـيـةـ:

ـ لـنـ خـرـجـ. أـنـتـ جـيـدةـ هـكـذـاـ.

ـ نـهـضـتـ "ـفـلـورـاـ"ـ دونـ أـنـ تـبـسـ بـكـلـمـةـ. لـاحـظـتـ فـيـ فـرعـ شـدـيدـ أـنـ الرـجـلـ

ـ الـذـيـ أـمـامـهـ لـيـسـ "ـجـيـمـسـ"ـ وـلـكـنـ أـخـوـهـ "ـچـونـ".

ـ فـيـ ثـوـبـهـ الأـسـوـدـ الطـوـبـيلـ وـلـاـ يـمـكـنـ تـميـزـهـ عـنـ أـخـيـهـ. بـداـ وـجـهـهـ أـكـثـرـ شـحـوـبـاـ

ـ مـنـ الـمـعـادـ. نـظـرـ إـلـيـ "ـفـلـورـاـ"ـ كـانـهـ لـاـ يـعـرـفـهـاـ. نـظـرـتـ إـلـيـهـ وـأـدـرـكـتـ أـنـهـ مـنـ

ـ الـمـسـتـحـيـلـ أـنـ تـقـاـوـمـهـ، سـالـتـهـ فـيـ تـعـقـلـ:

ـ هلـ أـسـتـطـيـعـ عـلـىـ الـأـقـلــ. أـنـ أـعـرـفـ إـلـيـ أـيـنـ نـذـهـبـ؟ـ!

ـ أـجـابـ "ـچـونـ"ـ فـيـ هـدـوـءـ بـكـلـمـاتـ أـفـرـعـهـاـ:

ـ سـاـصـطـحـبـكـ إـلـيـ قـبـرـ الـكـوـنـيـسـةـ "ـأـورـورـ".

ـ جـحظـتـ عـيـنـاـ "ـفـلـورـاـ"ـ مـنـ الـدـهـشـةـ وـالـفـزعـ.

ـ صـاحـتـ:

ـ لـكـنـكـ مـجـنـونـ. أـهـكـذـاـ فـيـ قـلـبـ اللـلـيـ؟ـ!

ـ نـدـمـتـ عـلـىـ الـفـورـ عـلـىـ كـلـمـاتـهـاـ. اـبـتـسـامـةـ غـرـبـيـةـ. مـنـ الـأـفـضلـ أـنـ تـقـبـلـ هـذـهـ الرـحـلـةـ إـلـيـ قـبـرـ "ـأـورـورـ"ـ وـسـتـعـودـ عـلـىـ الـفـورـ فـيـ سـلامـ

ـ إـلـيـ حـجـرـتـهـاـ لـتـسـتـطـيـعـ أـنـ تـنـامـ أـخـيـراـ.

ـ قـالـتـ وـقـدـ هـدـأـتـ:

ـ هـيـاـ بـنـاـ.

ـ لـكـهـاـ نـدـمـتـ عـلـىـ فـكـرـةـ أـنـ تـطلـبـ مـنـ "ـچـونـ"ـ أـنـ يـطـلـعـهـاـ عـلـىـ حـجـرةـ

ـ "ـأـورـورـ"ـ. وـلـمـاـ حـدـدـتـ لـهـ أـنـهـاـ تـقـيـمـ فـيـ غـرـفـةـ الـوـرـدـيـةـ؟ـ تـذـكـرـتـ "ـفـلـورـاـ"ـ

ـ بـخـوـفـ شـدـيـدـ. النـبـرـةـ الـغـامـضـةـ الـتـيـ رـدـدـ بـهـاـ "ـچـونـ"ـ :ـ فـيـ غـرـفـةـ الـوـرـدـيـةـ.

ـ بـعـائـلـةـ "ـلوـيسـ هـامـ"ـ. حـقاـ، إـنـ "ـالـكـوـنـ"ـ أـصـبـعـ أـكـثـرـ لـطـفـاـ مـعـهـ مـنـذـ رـحـيلـ

ـ هـنـرـيـشـ فـوـنـ رـيـترـ، وـأـنـهـ تـنـاـولـ الـعـشـاءـ فـيـ غـرـفـةـ الـطـعـامـ مـعـهـ، وـلـكـنـ اـتـسـاعـ

ـ الـغـرـفـةـ وـالـصـمـتـ الـذـيـ يـقـضـيـانـ فـيـهـ وقتـ تـنـاـولـ الـعـشـاءـ يـشـقـلـ كـلـيـهـاـ

ـ بـالـوـحـدـةـ. بـقـيـتـ نـظـرـةـ الـكـوـنـ غـائـبـةـ غـارـقـةـ فـيـ أـفـكـارـهـ الـحـزـينـةـ، وـاقـتنـعـتـ

ـ "ـفـلـورـاـ"ـ بـأنـهـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ كـلـ الـأـوـهـامـ الـتـيـ توـهـمـتـهـاـ فـهـيـ لـاـ تـسـتـطـعـ أـنـ

ـ تـقـدـمـ لـهـ شـيـئـاـ. فـكـرـتـ "ـفـلـورـاـ"ـ بـمـرـيـجـ منـ الـحـزـنـ وـعـدـ الـصـبـرـ فـيـ الـلحـظـةـ الـتـيـ

ـ سـتـرـكـ فـيـهـ قـصـرـ "ـلوـيسـ هـامـ"ـ.

ـ لـمـ يـقـ سـوىـ أـسـبـوعـ وـاحـدـ تـعـيـشـ فـيـ هـذـاـ الـمـكـانـ إـذـاـ اـحـتـرـمـ الـمـهـلـةـ الـتـيـ

ـ اـعـطـتـهـاـ لـنـفـسـهـاـ. سـيـرـسـلـ "ـمـاـيـكـلـ"ـ بـعـدـ ذـلـكـ بـقـلـيلـ إـلـىـ "ـإـيطـالـياـ"ـ،

ـ وـسـيـسـتـمـ الـكـوـنـ فـيـ حـيـاتـهـ الـوـحـيـدـةـ بـيـنـ جـدـرـانـ الـقـصـرـ.

ـ لـمـ تـسـتـطـعـ "ـفـلـورـاـ"ـ أـنـ تـمـدـ النـوـمـ. مـضـيـ الـيـوـمـ كـلـ الـمـعـادـ، أـبـدـيـ "ـمـاـيـكـلـ"ـ

ـ تـحـمـمـهـ لـلـسـفـرـ قـرـيبـاـ، وـمـضـيـ الـعـشـاءـ مـعـ الـكـوـنـ فـيـ جـوـ كـثـيـبـ. ذـاتـ مـرـةـ

ـ شـعـرـتـ "ـفـلـورـاـ"ـ بـأـنـ الـكـوـنـ يـهـمـ بـالـحـدـيـثـ إـلـيـهـاـ. ثـمـ تـرـاجـعـ وـغـرـقـ مـنـ

ـ جـدـيـدـ فـيـ عـالـمـ آـخـرـ. لـمـ تـشـكـ "ـفـلـورـاـ"ـ لـحـظـةـ فـيـ أـنـ اـفـكـارـهـ تـدـورـ حـولـ

ـ "ـأـورـورـ"ـ. لـعـنـتـ مـنـ جـدـيـدـ هـذـاـ الـظـلـلـ الـذـيـ يـقـفـ دـائـمـاـ حـائـلاـ بـيـنـهـاـ وـبـيـنـ كـلـ

ـ فـردـ مـنـ اـفـرـادـ الـقـصـرـ.

ـ سـمـعـتـ فـجـاءـ صـوـتاـ قـادـمـاـ مـنـ الـغـرـفـةـ الـتـيـ أـسـفـلـ غـرـفـتـهـاـ فـارـعـتـشـتـ. هـلـ

ـ عـادـ "ـچـونـ"ـ إـلـىـ غـرـفـةـ "ـأـورـورـ"ـ لـمـوـعـدـ جـدـيـدـ؟ـ

ـ دـونـ أـنـ تـعـرـفـ السـبـبـ شـعـرـتـ بـخـوـفـ لـوـجـودـ "ـچـونـ"ـ فـيـ غـرـفـةـ "ـأـورـورـ"ـ

ـ هـذـهـ الـلـيـلـةـ. رـغـمـاـ عـنـهـاـ بـقـيـتـ مـنـصـتـةـ لـأـيـ صـوـتـ مـحاـوـلـةـ أـنـ تـجـمـدـ لـهـ تـفـسـيـرـاـ

ـ مـنـطـقـيـاـ غـيـرـ وـجـودـ "ـچـونـ"ـ.

ـ فـتـحـ بـابـ غـرـفـةـ "ـفـلـورـاـ"ـ فـجـاءـ. ظـهـرـ رـجـلـ وـتـقـدـمـ بـسـرـعـةـ نـحـوـ سـرـيرـهـ.

ـ هـمـسـتـ:

ـ "ـچـيمـسـ"ـ !

ـ كـانـ الـقـمـرـ يـغـمـرـ الـغـرـفـةـ بـضـوءـ غـيـرـ عـادـيـ. بـداـ عـلـىـ وـجـهـ "ـچـيمـسـ"ـ

ـ الـاضـطـرـابـ. فـيـ عـيـنـيـهـ شـرـودـ غـرـبـ.

ـ كـانـ يـرـتـديـ مـلـابـسـ سـوـدـاءـ طـوـبـيـةـ.

ـ جـعلـهـ يـبـدوـ كـالـشـبـحـ.

ـ سـالـتـهـ فـيـ فـرعـ.

- سندhib إلى الكنيسة الصغيرة التي يوجد بها قبر "الكونتيسة أورور".

تحدث بصوت أحش وبطيء كأنه يلقي دراما يحفظه.
لم تستطع "فلورا" أن تأخذ منه معلومة أخرى.

تملكتها الرطوبة أكثر فأكثر فأخذت ترتعش دون أن تستطيع أن تسيطر على نفسها. فكرت في "چيمس" وفي سخريته إذا عرف أنها استسلمت للخوف والبرد. ألم يقدر شجاعتها في لقائهما الأول؟ ألم يهันها على أنها قد جاءت على الرغم من قسوة أسلوبه في الخطاب الذي أرسله لها؟ كادت تنسى وجود "چون" الذي يسير أمامها دون أن يعطي مشاعرها أي اهتمام.

فتح "چون" الباب مصدراً أزيزاً. ابتعد بادبه المع vad المعتاد ليدع "فلورا" تمر. فكرت "فلورا" في أن أخا الكونت قد يكون غير واع بالمشاعر التي أثارها في نفسها بدخوله إلى حجرتها في قلب الليل. إنها أمم رجل غير واع. هذه الفكرة لا تطمئنها.

مر "چون" أمامها ووضع في هدوء الشمعدان بالقرب من صخرة لابد أنها قبر "أورور".

تأملت "فلورا" الكنيسة الصغيرة متاثرة ببساطتها. لا تحتوي إلا على مدحبي صغير وصخرة القبر. شخص ما قد وضع الورد على القبر. استنتجت "فلورا" أن "چون" يأتي كثيراً إلى قبر "أورور".

فكرت وهي تشعر بوخز في قلبها: "على الأقل أنه ليس "چيمس" من يأتي إلى قبرها".

ارتعدت من جديد؛ الرطوبة هنا أكثر قوة مما هي عليه في التفق.
أمرها "چون":
- افتربي!

تقدمت "فلورا" في ببطء نحو "چون". أخذ منها الشمعدان الذي مازالت تمسكه، ووضعه بالقرب من المذبح.
قال لها:
- افتربي.

تبعت "فلورا" "چون" متوجبة أن تسأل نفسها لماذا حرص "چون" على إيقاظها في قلب الليل ليصححها إلى قبر "أورور". عبر الردهة في صمت ووصلت إلى السلم الكبير. نزل الطابقين في بطء. بدا أن "چون" مستمتع بإطالة هذه الطقوس أكثر مما يلزم.

تحت السلم الكبير بالقرب من الغرفتين اللتين ينام فيها إيلين و"چوزيف" كان يوجد باب صغير لاحظته "فلورا" عدة مرات. وسألت نفسها عدة مرات فيما يستخدم؟ وهما هي تجد الإجابة الآن. كانت تود أن تعرف في ظروف أفضل.

فتح "چون" الباب في حذر. أعطى "فلورا" واحداً من الشمعدانين الفضيين اللذين كان ممسكاً بهما. فتح الباب على سرداد مظلم طويل. فكرت "فلورا": "نفق".

ارتعدت لرطوبة الهواء. إنها لا ترتدي سوى قميص نوم أبيض خفيف، وتدمنت على أنها لم تتمكن من أن ترتدي شيئاً ثقيلاً.

بدا هذا النفق أكثر ظلمة من النفق الآخر المؤدي إلى حجرة الموسيقى. سمعت "فلورا" وقع الأقدام وتمنت لو أن أحداً من القصر يسمعها. لكنها ذكرت أن "چيمس" يقيم في الجناح الآخر. من المستحيل أن يسمع أي شيء.

فجأة فكرت "فلورا" في أنهما قد يتوجهان تماماً نحو الجناح الغربي. إن مدخل النفق يوجد بالقرب من الردهة الكبيرة التي تصل بين الجناحين الشرقي والغربي للقصر. ربما يكون النفق موازياً لها، إنها لا تعرف جيداً أسرار القصر لتناكده من ذلك، كما أنها قد فقدت جزءاً كبيراً من تركيزها بفعل الرطوبة، والخوف الشديد الذي تشعر به: بمفردها مع "چون"، في قلب الليل في رحلة إلى قبر "أورور".

قالت "فلورا" لنفسها محاولة أن تدفع بالأمل إلى قلبها: "على أية حال ربما يصطحبني إلى هنا لأنه رأى أنني مهتمة بـ"أورور" هذا كل شيء".

هذه الفكرة طمانتها قليلاً. أرادت - على الرغم من ذلك - أن تعرف إلى أي اتجاه يسيران. سالت "چون"، جاءها صوته ينطلقه الصدى:

قرأت "فلورا":

هنا ترقد أورور دي لويس هام".
- ١٨٢٥ - ١٧٩٥.

شعرت كأنها تقرأ حكماً بالموت. رن صوتها في الكنيسة الصغيرة.

أمسك "جون" بذراعها بقوّة:

- لقد ماتت، أليس كذلك؟
كان في صوته يأس. لم تعرف "فلورا" بماذا تجذب.
رد "جون".

- لقد ماتت، أليس كذلك؟ أجيبيني.

زفرت "فلورا"، يجب الاستمرار في هذا الموقف الكثيف حتى النهاية.
أخيراً قالت:

- ماتت "أورور دي لويس هام" سنة ١٨٢٥ . ونحن الآن في ١٨٢٧ .
يعني قد مرت ستة سنين.

اذعن "جون" :

- ستة سنين بالضبط الآن. كان ذلك في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ونحن
اليوم ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر).

ارتعدت "فلورا" لهذه المصادفة. نظرت إلى قبر "أورور" في شفقة.
حياتها التي انتهت منذ ستة سنين بالضبط يبدو أنها لم تكون سعيدة. فكرة أن
"أورور" ترقد هنا على بعد بضعة أميال منها. حرقت مشاعر "فلورا". لم
تعد تغار من جمالها وفتنتها؛ لقد رحلت "أورور" بالفعل، ها هو البرهان.
زفرت "فلورا" في ارتياح لفكرة أنها قد تحررت أخيراً من حضورها. كادت
تشكر "جون" لأنّه قادها إلى هذا المكان.

خلال ثوان اخترق ذهنها فكرة أن "جون" يعرف كل شيء عما يدور في
خاطرها بشأن "أورور".

نظرت إليه فوجده جائياً على ركبتيه بالقرب من القبر يحتضن الصخرة
التي تعلوه بقوّة.

مضت بضع دقائق بدت لـ "فلورا" دهراً ثم نهض "جون" فجأة، قالت
لنفسها في ارتياح ستمضي".

اندفع "جون" نحو "فلورا" وهزها بقوّة.
صاح:

- لقد قتلتها! إنك أنت من قتلتها.

تركها وسقط في نوع من فقدان الوعي. اختنقت "فلورا"، حاولت أن
تبسطر على أنفاسها اللاحقة. لقد خنقها "جون" في ثورته العارمة. فكرت
"فلورا" بسرعة، يجب أن تصرف قبل أن يستعيد وعيه. تمالكت نفسها
وأتجهت نحو الباب الصغير الذي يؤدي إلى التفاق، لكنها لم تستطع أن
تفتحه. الباب ثقيل جداً و"فلورا" منهكة بسبب كل ما تعرضت له من
خوف ومقاومة، فلم يبق لها أية قوّة.

أخيراً توصلت إلى فتح الباب، عندما سمعت صوت تنفس خلفها،
الافتكت. كان "جون" واقفاً خلفها مبتسمًا. تملكتها الفزع، انفجرت في
النفخ المظلم، وجرت بكل ما أوتيت من سرعة في الليل المظلم. اصطدمت
بالحائط ولكنها واصلت الجري وهيها الأكبر هو أن تفر من هذا الرجل
الخطير بكل الوسائل الممكنة. سمعت وقع أقدام "جون" يقترب أكثر فأكثر.
أمسك بها فانهارت على الأرض. قادها "جون" إلى القبر.

أجبّرها "جون" على الركوع.
قال لها:

- احترميها بما أنها قد ماتت.

انتظرت "فلورا". ماذا يريد أن يفعل بها؟

كان "جون" واقفاً خلفها ضاغطاً بيديه على كتفيها. قال آمراً:
- ستردين خلفي: "أورور دي لويس هام" اسمعني لاني سالحق بك.
أطلب منك العفو عن كل الإهانات التي وجهتها إليك.

الافتكت "فلورا" لتنظر إلى "جون" ورأت مذعورة الشر يلمع في عينيه.
كادت تعتقد أنها ترى الشيطان في شخصه في قمة نشوة تقدم ضحية
جديدة. كان الموقف بدون مخرج، لا أحد يستطيع أن يأتي لنجاتها.
شعرت "فلورا" بالدموع تملأ عينيها. إن "چيمس" كان محقاً. كان عليها
أن تتجاهل وجود أخيه الذي وقع فريسة للجنون.
أمرها "جون" في حدة:

عائلة "لويس هام". يموتون جميعاً بمرض غريب أو ميئه عنيفة. هذه الجريمة التي ارتكبها يجب بإعادتها الآن.

- جريمة أخرى؟ ماذا ستفعل سوى ما فعله أخيك وتلومه عليه؟
جمعت "فلورا" آخر ما تبقى لها من قوة، وحاولت أن تقنع "جون" ولكن كلماته المرتبكة ذكرتها أنه لا يوجد أي أمل.
حاولت "فلورا" أن تصلي حتى تهدأ.

قال "جون":

ـ لقد حانت الساعة.

حتى ذلك الوقت لم تكن "فلورا" قد وهنت. حاولت بكل الطرق التي تملكتها التهرب من المصير الذي ينتظرها. لم يكن لديها الوقت لكي تستسلم للدموع والرعب. كما أنها لم تهن نفسها بان طلبت من "جون" أن يتركها، لقد اكتشفت بمحاولة إقناعه. لكنها عندما سمعت تلك الكلمات القاطعة شعرت بأن قلبها سيترنح من صدرها. هي التي نجحت في إتمام تعليم "مايكيل". قبل بضعة أيام من رحيله يجب أن تموت الآن بسبب هلوسة هذا الشيطان المسكين.

في هذه اللحظة، وبالسخرية القدر! فهمت أكثر من أي وقت مضى أن "جون" قد اخترع فكرة أن "چيمس" قد دس السم لـ"أورور" حتى يواسى نفسه لموتها. إن حدسها لم يخطئ عندما اعتقدت أن "چيمس" على الرغم من حدة مزاجه لا يمكن أن يكون قاتلاً. عادت إليها صورة "الكونت"، تصورته في حنان. إذ استطاع أن يعرف أنها حتى آخر لحظة في حياتها كانت أفكارها تدور حوله...

الآن يبدو أن "جون" متوجّل حتى يفرغ من الأمر. بدت في نظرته لمعة من القلق.

قال لـ"فلورا":

ـ تعالى!

قادها برفق إلى المذبح. في ظروف أخرى كانت "فلورا" ستتعجب بالرسومات التي امتزجت فيها البساطة والرقابة والتي تمثل دائرة الملائكة، وشياطين حول الإنسان. فكرت "فلورا" في "جون دي لويس هام" الشيطان

ـ رددي.

اضطررت "فلورا" بدورها أن تردد الكلمات. طلب منها "جون" أن توجه الكلمات لـ"أورور" كأنها تدعو الله.

ـ ... أرجوك أن تستقبليني في مثواك الأبدى.

التفتت "فلورا" نحو "جون". الذي بدا راضياً.

قال مبتسماً:

ـ تماماً!

أرادت "فلورا" أن تنهض وتضرره حتى تخفف عما تشعر به تجاهه من غضب. ولكنها كانت تفتقد القوة وبقيت راكعة.

قالت في ياس:

ـ لمنته من ذلك، أرجوك.

نظر إليها "جون" طويلاً، وقال:

ـ كل شيء يجب أن يحدث بنظام.

سألته "فلورا" في غضب:

ـ لكن في أي نظام؟ من الذي أعطاك الحق؟

توقفت فجأة شاعرة بعدم جدوى سؤالها. إن "جون" يتجه الآن نحو القبر ويشير إليه.

ـ إنها هي... رأيتها اليوم. قالت لي إنه يجب أن أتخلص منه. وإنك أنت السبب في اختفائها الطويل.

سألته "فلورا":

ـ لكن لماذا؟

تبينت "فلورا" أنه ليس لديها أية فرصة أمام هذا العقل المصاب بالجنون، ولكن ليس لديها من الآن ما تقده.

سألته:

ـ لماذا أكون أنا المسئولة؟ إني لا أعرفها. إني غريبة عن هنا. إني لا أنتهي إلى عائلة "لويس هام".

ـ كفى عن النطق بهذا الاسم هنا. إنه ملعون. ألا تعرفين أن "چيمس دي لويس هام" قد قتل زوجته؟ منذ ذلك الوقت وهناك لعنة حللت على

الذي يختفي تحت مظهر الضاحية.
ابعد "جون" كأنه يريد أن يتأمل المشهد. ثم تقدم بخطى بطيئة نحو "فلورا".

بقيت "فلورا" راكعة أمام المذبح متسمة لا تتكلم. لم تجرؤ على أن تلتفت. لم تكن لتسمع سوى صوت أقدام "جون" تقترب أكثر فأكثر.. شعرت بنفس "جون" عند رقتها. شعرت بيده على كتفها. انتظرت "فلورا" دون أن تجرؤ على أن تقوم بحركة. شعرت بالملمس البارد لنصل على بشرتها.

سمعت "فلورا" صرخة ثم صوت أقدام مسرعة دون أن تفهم ماذا يحدث، لاحظت أن السكين لم يعد يلمس بشرتها. شعرت بمن ينقلها إلى باب النفق. عندئذ فتحت عينيها.

چيمس دي لويس هام هنا. أمسك باخيه من كتفيه والأخوان يتعاركان الآن في عنف. لقد هب "چيمس" الإنقاذها. لكن كيف عرف أنها هنا مع أخيه؟ دار في ذهنها مائة سؤال.

كان "چيمس" ممسكاً باخيه على الأرض. سقط السكين بالقرب من المذبح. ارتعشت "فلورا" لفكرة الموت الذي انقذت منه توأ. لم تستطع أن ترى التعبير الذي ارتسم على وجهي الأخوين لكنها خمنت ما في نفسيهما من كراهية متبادلة.

صاح "جون":

- قاتل. أنت قاتل زوجتك.
لطم "چيمس" وجهه بشدة.
أخفت "فلورا" عينيها بيديها. لم ترد أن ترى شيئاً من هذه المواجهة المتوحشة.

صاح:

- أنت تكذب: أنت تعرف جيداً أن هذا ليس صحيحاً.
ماتت "أورور" بسبب المرض.

قهقهه "جون":

- والسم الذي وضعته في كوبها. هل هذا أيضاً جزء من مرضها؟
- أي سم؟ أنت مجنون...
ترك "چيمس" أخاه، الذي انتهز الفرصة ليهرب من قبضته. التقط "چون" السكين. وهدد "چيمس" خبات "فلورا" وجهها من جديد. سمعت صوت المعركة الحادة التي وضعت الآخرين في المواجهة دون أن تجرؤ على معرفة من تغلب على الآخر، وتبادل الأخوان عبارات العداء.
- آردت أن تقتل الآنسة "فلورا" أليس كذلك؟
ناثرت "فلورا" لسماع الكونت ينطق اسمها. لم يجب "جون".

سالله:

- لماذا؟

أجاب "چون" في تحد:

- طلبت مني "أورور" ذلك. إنها لا تحتمل وجودها هنا. تملّكه الغضب من جديد، قفز "چيمس" على أخيه، كانت المواجهة عنيفة، و"فلورا" لا تجرؤ على النظر إليهما، والأفكار تدور في رأسها. لم تستطع إلا أن تسمع صخباً شديداً، وعندما فتحت عينيها رأت "جون" يندحرج متلماً على قبر "أورور". فقدت "فلورا" على الفور وعيها.

الفصل الثاني عشر

استيقظت "فلورا" فوق أريكة الصالون الأخضر. رأت وجه الكونت مائلًا نحوها. قرأت في عينيه اهتماماً وحناناً بالغير. سالها بمجرد أن فتحت عينيها:
- هل تشعرين بحسن؟

أجابته "فلورا" بابتسامة. وأجابها الكونت بنفس الابتسامة:
- عند روبيتك نائمة هكذا لم استطع أن أقاوم لذة تأمل وجهك الجميل حتى استيقظت. يجب أن أضيف أنني لم أستطع أن أمنع نفسي من أن أطبع قبلة على شفتيك؛ لاري إذا كنت أستطيع أن أكون الأمير الساحر الذي يكسر الآثار السميّة لسحر الساحرة الشريرة.

شعرت كأنها مازالت تحمل آثر قبليته، فابتسم لها في حنان.
سالته وهو لا يزال ينظر إليها في اهتمام:
— لماذا أنا هنا؟
أجابها:

— وتنسين كل ما حدث هذه الليلة؟
ردت "فلورا" دون أن تفهم:
— هذه الليلة؟

تذكريت فجأة. اقتحام "جون دي لويس هام" غرفتها، عبرهما النفق،
الكنيسة الصغيرة، نصل السكين، قبر "أورور"، ومجيء "چيمس"
والمركرة المترحة بين الآخرين.
شعرت "فلورا" كأنها استيقظت من كابوس طويل. ابتسم لها "چيمس"
وكان هذا كافياً ليمحو كل انفعالاتها هذه الليلة.

سالته:
— ما الوقت الآن؟
أجاب "چيمس":

— نحن بعد الظهر. ساحضر لك قدحًا من الشاي وبعض الفطائر
الساخنة التي تعدناها "إيلين" سيجعلك ذلك تشعرين بتحسن.
نهض "چيمس" وتأملته "فلورا" من جديد بإعجاب. هذا التغيير في
سلوكه تجاهها حقيقي أم أنه مجرد حلم؟ وكأنه يجب على هذا السؤال
فقد عاد "چيمس" حاملاً صينية. تعرفت "فلورا" على هذه الصينية التي
تنتمي إلى أواقي الاحتفال التي أخرجتها "إيلين" عند وصول "هنريش ثون
ريتر". كان هناك قدحان من الشاي من الخزف الأزرق وبراد وطبق كبير
عليه الفطائر التي تبدو لذيذة من أول وهلة. ووعاء يحتوي على مربى
البرتقال وآخر على حليب.

بدأ "چيمس" في تقديم الطعام لـ"فلورا" التي نظرت إليه في حنان. سوء
تصरفه جعلها تعرف أنه لم يعتد تقديم الشاي مما زاد من تأثير "فلورا".
اخترت ذهنتها فكرة.

سالته:

— وـ"چون"؟
عيّس وجه الكونت فجأة. أدرك "فلورا" أنها تفتقد قواعد الذوق.
تتحدث عن "چون" كأنه فرد من أفراد عائلتها. فتورد خداتها خجلاً.
وضع "چيمس" إصبعه على شفتيها.

— ستححدث عن ذلك فيما بعد، الآن يجب أن تأكل لي تستعيدي
قوتك.

أطاعته "فلورا" في سعادة. أكلت بشهية الفطائر اللذيذة التي أعدتها
"إيلين".

كانت "فلورا" تجلس وقد استعادت جزءاً من قوتها. دخلت "إيلين"
الصالون الأخضر ومعها صينية كبيرة وضع عليها بشكل مثير للشهية قطعة
من اللحم البارد والفاصوليا والسلطة؛ التي التهمتها "فلورا" بشهية. مما
أسعد "إيلين".
سألتها:

— هل تشعرين بتحسن يا آنسة "فلورا"؟
— نعم يا "إيلين". شكرأ.

أضافت في مكر:

— يجب أن يكون سيدي الكونت سعيداً بذلك. لقد كان قلقاً جداً
هذا الصباح.

عيّس "چيمس". قال:

— أصمتني إذن.. أنت تشردين:
ولكن استشفت "فلورا" في عينيه بريق مزحة تنفي كلماته.
وكذلك "إيلين" لم تكن مغفلة. انصرفت بعد أن رمقت بعين حانية
الكونت وـ"فلورا".

صاح بها "چيمس" بغضب مصطنع:

— هيَا اذهبِي!

أجابت "إيلين" في سعادة:

— سأذهب يا سيدي الكونت.

استطرد الكونت مخاطباً "فلورا":

- "إيلين" ثرثارة جداً.
أذعنت "فلورا". وفي داخلها تشكر "إيلين"؛ لأنها نطقت بهذه الكلمات. لقد كان الكونت قلقاً بشأن صحتها. هذا يعني أن اختلاف سلوكه تجاهها - والذي أحسست به - كان حقيقة وليس من تصورات خيالها.

زفرت "فلورا" في سعادة.
بادرها الكونت:

- يجب أن أتحدث معك طويلاً هل أنت مستعدة لسماعي؟
أذعنت "فلورا".

- لا جيبك عن سؤالك: إن أخي "چون" قد مات هذه الليلة. لقد تعاركنا، وكان يدافع عن نفسه فسقط وأصطدم بحجر قبر "أورور" فمات.
استطرد:

- لم نتفاهم قط أنا وأخي "چون". ولكن منذ موت "أورور" ...
توقف فجأة.

- لكنك تعرفين كل هذا.
قالت "فلورا":

- لقد مات بالقرب من الكونتيسة التي لم يتمن سوى الموت بجانبها.
نظر إليها الكونت طويلاً.

- ربما تعرفين عن الأمر أكثر مني.
صمتت "فلورا". شعرت بعاطفة كبيرة تحضنها.

شيء لا تستطيع مقاومته يدفعها نحو الكونت.
لم أتخيل قط أنك من الممكن أن تكون ضحية.
لم يهمها كثيراً رد فعل الكونت. ربما سيفعل لها إلا

تدخل في شؤون أسرة "لويس هام". ما يهمها أن تقول هذه الجملة.
بدأ على الكونت التردد.

همس:

- ما قلته لي توا يسعدني ولا تعرفين إلى أية درجة.
ثم نظر إليها في عرفان.

سألته "فلورا" لتخلص من ارتباكاها:
- لماذا كنت عند قبر "أورور" هذه الليلة؟
أجابها الكونت باتسامة:
- أستطيع أن أطرح عليك نفس السؤال.

تردلت "فلورا" بدورها هل عليها أن تحدثه بصرامة عن بحثها الذي شرعت فيه، وعن زيارتها لحجرة "أورور" ليفهم سر مجيء "چون" إلى غرفتها؟

قررت "فلورا" أن تعترف له بكل شيء؛ ليعرف أنها لم تخدعه عندما قالت له إنه ضحية، ربما يفهم الشعور الذي دفعها لهذا التصرف ... حاولت "فلورا" أن تخبره بكل شيء باختصار؛ حتى لا يشعر بالملل. ولكنه على العكس أبدى اهتماماً كبيراً لি�سمعها. وصلت "فلورا" إلى نقطة اقتحام "چون" غرفتها واقتياده لها إلى قبر "أورور" فتعجب لشجاعتها وأنهى عليها.

قالت:

- أنت تسخر مني.

- كيف ذلك؟ إني معجب بشجاعتك؛ وتقولين إني أسخر منك؟
قالت مبتسمة:

- إني أصدقك.

أنمسك الكونت بيدها وقال:

- "فلورا" ... "فلورا".

نظرت إليه "فلورا" في دهشة. إنها لا تفهم هذا الرجل الذي يكشف عن نفسه ثم يلبس قناعاً فجأة، ويكرر بدون توقف. قررت "فلورا" أن تنتظر نهاية هذه المغامرة بحكمة. لم يلاحظ الكونت ذلك.

في نهاية رواية "فلورا" أكتفى الكونت بأن قال:

- سأروي لك بدورى كيف وصلت إلى قبر "أورور".

لم أستطع النوم: سبب أرقى هو هذا اليوم الذي قضيته للهرب مما أخشاه: السجن في القصر حتى لا أفكر في شيء سوى موت "أورور". كان هذا اليوم هو الذكرى الثانية لموتها. كل تفاصيل ذلك اليوم الحزين

"لماذا يقول لي كل ذلك وأنا لست سوى مربية ابنه؟".
- أصل إلى مرض "أورور": كان الأطباء يتساءلون: ما هو مرضها بالضبط؟ لم يتوصل أحدهم إلى معرفة ذلك. لقد سئلت من أحاديث الأطباء ومنتهم من دخول القصر.

ومنذ مرض "أورور" و"جون" يلقى علي اللوم ويقول: "أنت المسئول عن هذا المرض، أنت تعرف ذلك تماماً"،

بعد كل هذه السنوات بالقرب من "أورور" أشعر تجاهها بحنان طبيعي، وكان الألم يعتصرني لفكرة أن مرضها قد يكون مميتاً كما أخبرني بعض الأطباء؛ لذلك وجدت لوم "جون" غير عادل وتصرفت بعنف... وكانت هذه أولى مشاجراتنا العنيفة. ولكن خلال الأسبوع والشهر التي تبعت ذلك كانت النقاشات الحادة متعددة ومتقدمة بيننا. كان "جون" يلقى علي اللوم دائماً لمرض "أورور"، وأدافع عن نفسي في عنف دون حتى أن أسمع ما يقول لي.

من الواضح أن أكثر من كان يعاني هذا الوضع هي "أورور". منذ مولد "مايكيل" كانت تقاوم ألا يكون هناك أي صدام بيني وبين "جون". في ذلك الوقت كان "جون" يرفض دخول غرفة "أورور" عندما يعرف أنني هناك. وعندما تقابل مصادفة كان يرفع صوته ويشير إلى سلوكي الذي يصفه بالغيرة حتى إنني لم أكن أستطيع البقاء في غرفة "أورور" فكتت أترك له المكان وأرحل.

ازدادت حالة "أورور" الصحية سوءاً. توسلت لـ"جون" أن يكف عن الشجار معي، على الأقل في وجود "أورور" خشية على صحتها. أخبرني "جون" بأنه لا محالة من مشاجراتنا، وأنه عدو لي منذ زواجه من "أورور". وبدلاً من أن تهدأ مشاجراتنا احتراماً لها استمرت على العكس بشكل أكثر حدة.

حرص "جون" على التواجد في غرفة "أورور" أثناء وجودي بها وكانت "أورور" ترجونها بصوت واهن الاندما الشجار.

كنت أحارو الاحتفاظ بهدوئي، ولكن كان "جون" يتوصل دائماً إلى إثارة غضبي وهذا ما لم أستطع تحمله.

عادت إلي، لهذا السبب قررت التوجه إلى المدينة. وعند عودتي عاودني ذلك الإحساس الكهيب الذي حاولت الهروب منه طوال اليوم. كان العشاء كفيما إذا كنت تذكرين ذلك، وصعدت إلى حجرتي مبكراً على غير العادة.

أومات "فلورا" برأسها. لقد لاحظت في ذلك المساء أن مزاج الكونت أكثر حزناً من العادة.

تحنخ الكونت قبل أن يستطرد. لقد بدا متأثراً:
- أكثر ما يعذبني هو ليس أنها ذكرى موت "أورور". أنا والكونتبسة جمعنا ما يطلق عليه زواج العقل...

عند هذه الكلمات دق قلب "فلورا" بشدة... لم يشعر الكونت باية عاطفة حب تجاه "أورور" التي تملأ صورها القصر.
هل يرى الكونت أثر تصريحه هذا على "فلورا"؟ توقف لحظات ثم

استطرد:
- كان أخي "جون" و"أورور" متحابين بعاطفة نادرة. ولكن أصر أبي على أن أتزوج "أورور" لأنه كان يعتبرني الأكبر ووريث "لويس هام". كانت "أورور" تمتلك ثروة ضخمة وبعض الأرضي المعاورة لأراضي "لويس هام" مما يشكل أملاكاً شاسعة الامتداد... لقد أخطأت بطاقة أبي. مما أثار ضدي كراهية أخي "جون" واحتقاره "أورور".
خفض "جيمس" رأسه متأثراً بذكرياته.

- مات أبي بعد بضعة أشهر، وضغط على "جون" و"أورور" لتصحيح هذا الوضع المهيمن. في كبريات رفضت. اعتدت أنا و"أورور" العيش مع بعضنا البعض. ثم جاء مولد "مايكيل". ومنذ هذا القرار لم أذق طعم الراحة. كان "جون" يعيش في القصر ولم تمر لحظة دون أن تعاقبني لأنانيتي، كانت هذه السنوات مثل الجحيم بالنسبة لي. بالتأكيد لم يعرف أحد شيئاً وحرضت على أن أبدو سعيداً أمام الآخرين. كانت "أورور" جميلة جداً، وكنا نعد الحفلات. كنت أخشى الحياة الاجتماعية ولكن الذين كانوا يتربدون على القصر لم يكونوا يعرفون أي شيء.
كانت "فلورا" تسمعه في اهتمام ودهشة. فكرت:

انتهى بي الأمر إلى أن منعته من الدخول في غرفة "أورور"؛ مما زاد الأمور سوءاً. لم أكن أعرف ماذا يجب أن أفعل، كنت أتأثر بلوم "جون" حتى انتهى بي الأمر إلى أنني اقتنعت بأنني المسئول عن مرض "أورور". ماتت "أورور" ذات صباح بعد ليلة تالمت فيها كثيراً. لم أتركها وظهر "جون" مرات قليلة على غير عادته، لم أجب في هذا اليوم عن أي من إهاناته.

تأثرت "فلورا" برواية "چيمس"، وشعرت كأنها عاشت معه تلك الأحداث التي يرويها. كم من مرة حاولت تصور موت "أورور"! اعتذر الكونت عن طول حديثه.

و قال:

- مستعرفين لاحقاً لماذا هذا الحديث مهم.
استطرد "چيمس":
- بعد موت "أورور" زادت الأمور سوءاً. كاد "جون" يعاملني - بشكل واضح على أنني قاتل ولم أجده مخطئاً كثيراً. في الليل كنت أرى كوابيس عديدة.. كنت أرى نفسي أجري وراء "أورور" ومعي سكين أو أني أعد لها السم..

اعتقدت أنني قد أصبحت بالجنون، طلبت من "جون" أن يترك القصر لأنني لم أعد أستطيع التنفس في وجوده.
أجاني بأنه سيرحل بكل سرور؛ لأنه لا يريد أن يعيش مع قاتل تحت سقف واحد. ذهب وحبس نفسه في حجرة الموسيقى. ولم أره أبداً حتى هذه الليلة.

رأيت "فلورا" بعض قطرات العرق تلمع على جبين الكونت.
استطرد:

- كان لكلماته تأثيرها علي، و شيئاً فشيئاً اقتنعت بأنني اشتربت في موت "أورور"؛ وأن "جون" هو الذي كان يدافع عن الكونتيسة ضدي.
نظر "چيمس" إلى "فلورا".

قالت بصوت واضح:
- سيدى الكونت، لقد تركت نفسك تقتنع لتدخل في الفخ الذي

نصبه لك السيد "جون". ألم تفكري أنه حاول الانتقام من زواجك؟ نظر الكونت إلى "فلورا" في دهشة. إن في صوتها إنكاراً لاقتناعه بأنه قتل زوجته.

قال الكونت في هدوء:

- "فلورا"، إنني أروي لك قصتي؛ لأنني شعرت وكأنك تقررين أفكاري. دق قلب "فلورا" بسرعة. إنها هي أيضاً وفي عدة مرات شعرت بأن الكونت يقرؤها كأنها كتاب مفتوح.

- إنني حريص - على الرغم من ذلك - على أن أقول لك شيئاً وأحررك من هذا الحديث المضجر.
لم يترك له "فلورا" الوقت لتعتبر.

- في الوقت الذي كنت واقعاً فيه تحت تأثير كلمات "جون" تذكرت أسطورة تتعلق بقصر "لويس هام": إن رجال عائلة "لويس هام" يتسبّبون في حزن زوجاتهم. هناك عدد كبير من الأمثلة التي لا تُحصى تشهد على ذلك على مر العصور.

فاطعنه "فلورا" ضاحكة:

- وبالتأكيد توجد أمثلة أخرى تثبت العكس.
ابتسم لها الكونت. سالها:
- هل خمنت ما أريد أن أقوله لك؟
ابتسمت له "فلورا" وقالت:

- لا، أطمئن؛ لا يستطيع أحد أن يخمن ما في رأسك.
كان في صوتها شيء من المراوة. إن "فلورا" تالم بهذه المصارحة الغريبة من الكونت، إنها تشعر الآن بأنها تفهمه تماماً لكن ما فائدة ذلك؟ كيف تستطيع مواجهة أسرة "لويس هام" العريقة المعروفة في "إنجلترا" بأسرها؟

قالت لنفسها في حزن: "مستحيل".

لاحظ الكونت عيون وجه "فلورا". سالها:

- فيم تفكرين؟
وكان في صوته حنان واضح. ومن جديد بدأت تأمل المستحيل. لماذا يظهر لها الكونت كل هذه العناية؟

تكون ملكاً لي .

اقترب "چيمس" من "فلورا" :

في هذه الليلة تحققت ما رفضت أن أعترف به: إنني أحبك يا "فلورا" وذلك منذ اليوم الأول الذي رأيتك فيه.

نظر إليها في حنان، وكانت "فلورا" تفقد وعيها من جديد. استسلمت لحضن "الكونت"، وتبادلًا قبلة تذر بسعادتها المقبلة.

الخاتمة

مضى أسبوع على هذه الليلة التراجيدية التي كانت الذكرى الثانية لموت "أورورا" .

أثناء وجبة العشاء جلس "مايكيل" والكونت و"فلورا" يتحدثون في سعادة عن مشروعاتهم.

قال "مايكيل" في حماس:

- سارجل خلال شهر، ساري كل الأماكن الجميلة التي حدثتني عنها الآنسة "فلورا". "روما"، "فلورنسا"، "ناپولي" ...
 كانت عيناه تلمعان بالإثارة. في سعادته صفق بيديه.

قال الكونت:

- هيا يا "مايكيل" بعض الهدوء.

نظرت "فلورا" في عطف إلى الأب وابنه وهما يتحدثان، وتذكرت أنه منذ عدة أسابيع كان "مايكيل" يعتقد أن والده قاتل أمه. لقد بذلت قصارى جهدها حتى تقنع الصبي ببراءة والده أما الكونت فقد أقبل في سعادة على تلك المصاحفة.

نظرت إليهما "فلورا" في سعادة. وكان الكونت "دي لويس هام" قد تحول فجأة بفعل عصا سحرية، إن الرجل العابس الكئيب قد أصبح ذكري بعيدة.



استطرد "چيمس" :

- عاهدت نفسى مقتنعاً بلعنة آل "لويس هام" التي تتبعنى لا انظر إلى آية امرأة تقابلى في الحياة.

كان "مايكيل" بحاجة إلى مريبة. قررت أن أجده له واحدة، ولكن أن أطرح عليها شروطاً قاسية، وإذا قبلتها فهذا يعني أنها شخصية قوية تخلت عن فكرة الحياة الشخصية.

شعرت "فلورا" بأنه يهينها بتلك الكلمات. باي حق يحكم الكونت على النساء اللاتي، مثلها، يجدن أنفسهن في ظروف صعبة؟ فيهن يضطرون إلى القبول للعمل كمربيات باي ثمن.

استطرد:

- بالإضافة إلى أنني قررت إضافة شرط آخر قاطع: لا أقابل أبداً تلك التي ستكون مريبة "مايكيل" .

استطرد:

- يجب أن أعترف لك بشيء يا "فلورا"، من خلال خطابك اعتتقدت أنك جادة تهتمين بالتطهير والسلوك الحميد.

استناءت "فلورا" كثيراً من هذا الوصف الذي رأت أنه وصف وقح وقالت ناسية أنها تخطاب الكونت "چيمس دي لويس هام" :

- لماذا تروي لي كل هذا؟ هل تعتقد أنني أهتم بمعرفة رأيك في؟ على أية حال يجب أن أرحل الأسبوع القادم وما يحدث في قصر "لويس هام" لا يهمني

كانت "فلورا" لاهثة بعد أن انتهت من تلك الكلمات وعيناها السوداءان تلمعان بالغضب.

احتفظ الكونت بهدوئه. قال:

- أنت محقة يا "فلورا" أنت لم تدعوني أكمل حملتي. أردت أن أقول لك إنني كنت مخططاً، وإنه منذ وصولك وجدتك جميلة بشكل مبهر. هربت منك يا "فلورا" بسبب هذه اللعنة التي اعتقدت أنها تلاحقني. ولم أفهم إلا في تلك الليلة، تلك الليلة التي رأيت فيها أخي "جون" يرفع عليك السكين. أدركت أنه هو القاتل. وأنه دفع بـ"أورورا" للرحيل حتى لا

صعد "مايكيل" لينام. كان الليل قد هبط منذ وقت طويل، تبادلت "فلورا" والكونت النظارات في صمت. وانعكاس ضوء نار المدفأة يعكس لوناً برتقاليًا دافئاً. لم يسمع سوى طقطقة الحطب في هدوء الغرفة. استمتع الاثنان بهدوء الليل الذي يعلن قدوم الشتاء.

التفت الكونت إلى "فلورا" أضفى عليه الضوء المنعكس من نار المدفأة مظهراً غامضاً، بدت عيناه الزرقاوأن وقد اكتسبتا حيوية جديدة. تأمل "چيمس" من جديد جمال قسمات وجه "فلورا". إنه يحب ثوبها الأخضر المتناسق مع قوامها. شعرت "فلورا" بنظرات الكونت فوقعت فريسة لانفعالات عاطفية متناقضة. منذ أن اعترف لها الكونت بحبه لم تتوقف "فلورا" عن سؤال نفسها عما سيكون عليه المستقبل. ستغادر قصر "لويس هام" بعد بضعة أيام وهي تحتفظ بذكري هذا الحب. منذ ذلك اليوم لم ينطق الكونت بكلمة واحدة في هذا الشأن، لم يظهر لها سوى الود الذي يظهره أي مضيف كريم لضيفه. عدة مرات كانت "فلورا" توشك أن تسأل "چيمس": لماذا سبب لها كل هذا الألم بأن اعترف لها بحبه؟ لكنها تراجعت لأنها كان هناك شيء ما في نظرات الكونت جعلها تتراجع، شيء لا تعرف أن تصفه.

قال الكونت بعد صمت طويل:

- "فلورا"، على الرغم من طبيعتي المتوجهة، وعلى الرغم من لعنة عائلة "لويس هام" هل تقبلين الزواج مني؟

دهشت كأن صاعقة ضربتها. لم تستطع "فلورا" أن تنبس بكلمة. سالها الكونت مبتسمًا:

- هل تترددin؟

أجابت أخيراً

- لا، ولكنني أعتقد أنني أحلم.

ابتسم الاثنان، وكان احتضانها الكونت "چيمس دي لويس هام" خير إجابة عن طلبه.

تمَّت بعون الله